الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية
تخصص التفسير بين القديم والحديث
موسومة

تفسير الظواهر الكونية في القرآن الكريم
بين القدامى والمحدثين - نماذج -

❖ **إعداد الطالب:**
✓ بن زيد باي

❖ **إشراف الأستاذ الدكتور:**
✓ خير الدين سيب

لجنة المناقشة:

▪ أ/ د: محمد عباس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – رئيســـــــا –
▪ أ/ د: خير الدين سيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – مشرفا ومقررا –
▪ أ/ د: محمد طول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – عضوا مناقشا –
▪ د: عثمان بلخير	أستاذ محاضر (ب)	جامعة تلمسان – عضوا مناقشا –

السنة الجامعية 1433 هـ - 1434 هـ / 2012 م - 2013 م

إهداء

إلى نبع الحنان السامي والحب الصافي

وأحق الناس بصحبتي أمي.

إلى من علمني معنى الحياة، وأمسك بيدي على دروبها أبي.

إلى رفيقة دربي في ديني و دنياي زوجتي.

إلى عائلتي و أحبتي.

إلى كل من له فضل علي.

إلى كل من نسيهم قلمي وضمهم قلبي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

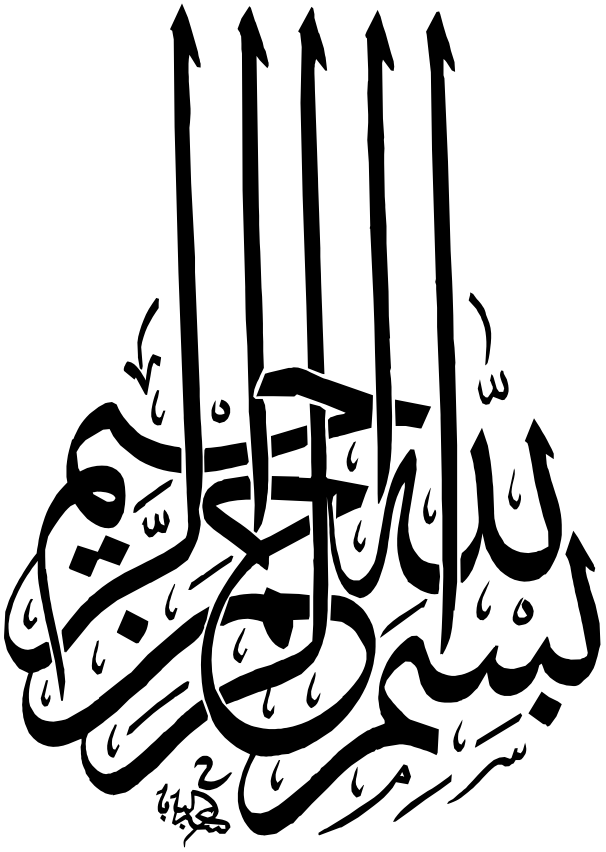
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

اعترافا لأهل الفضل بفضلهم، أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد العون،

و أخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور خير الدين سيب

الذي تشرفت بقبوله الإشراف على هذه المذكرة و تشجيعي على المضي قدما في كتابة هذا الموضوع ،

أشكره على ما أحاطني به من كريم اهتمامه، وخلاصة فكره وعلمه، وثمين وقته، فقرَّغ لي الساعات، مُوَجِّهًا ومُصَوِّبًا،

ومُشَجِّعًا، حرصًا منه على أن يخرج البحث في أفضل صورة،

فله الشكرُ الوفير، والاحترام والتقدير،

وأسأل الله تعالى أن يمن عليه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أشكر أساتذتي الكرام السادة العلماء أعضاء لجنة المناقشة

الذين تشرفت بقبولهم مناقشة مذكرتي،

و أختم بشكري لأهلي الذين قدموا لي يد العون،

ولكل من ساهم في إخراج هذه المذكرة ،

فجزاهم الله جميعا خير الجزاء.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن أجلَّ العلوم التي صرفت فيه ا الهمم، علوم القرآن، كيف لا و هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؛ فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبـــيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه ، والنهل من معينه العذب النمير، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وكان القدح المعلى لعلم التفسير من ذلك كله، كونه المبين والمجلي لمواهي الآيات القرآنية.

وقد تطور هذا الفن وبلغ ذروته شانه شأن العلوم الأخرى فكان الابتداء بالاعتماد على المنقول حصرا وهو ما يعرف بالتفسير بالمأثور، ثم دعت الحاجة إلى إقامة البراهين والحجج العقلية في بيان مدلول الآية القرآنية ، فظهر ما يعرف بالتفسير بالرأي.

ومن ألوان التفسير بالرأي والاجتهاد لون عرض إلى جملة من الحقائق العلمية الموجودة في التنزيل المبين اختلف فيها أهل العلم بين رافض للغوص فيها وبين داع للغور في أسرارها ومكنوناتها، إذ هي سبيل رسوخ الإيمان وزيادته من جهة وطريق الدعوة إلى الله من جهة أخرى .

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره: (التحرير والتنوير) عن التفسير (وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم، فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضو اء الفجر على حسب مبالغ المفهوم وتطورات العلوم).

إن الظواهر الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم هي من قبيل بيان الحقائق والسنن الربانية، والإتيان بقمم النواميس المبثوثة بهذا الكون، وقد صيغت صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى جديدا من المعاني المختزنة في كل آية من تلك الآيات الكونية.

وباستمرار اتساع دائرة التراكمات المعرفية الإنسانية ، جيلا بعد جيل ، وعصرا بعد عصر يتأكد تحقق الوعد الإلهي : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

لذا أحاول في هذه الدراسة الوقوف على جزئية من التفسير والمتعلقة بالظواهر الكونية في القرآن الكريم مع بيان نظرة السلف والخلف على وجه يفضي إلى المقارنة.

أسباب اختيار الموضوع: لاختيار موضوعي أسباب منها:

أ/ أسباب ذاتية:

- ✓ ميولي للدراسات العلمية منذ الصغر.
- ✓ شغفي الكبير بالإعجاز العلمي لما فيه من زيادة الإيمان وقوة الحجة.
- ✓ المساهمة في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى، وإعمالا لقوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلآيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُومِنُونَ ﴾ .

ب/ أسباب علمية:

- ✓ كثرة التأليف غير المحكمة في هذا الفن في العصر الحديث من أناس ليسوا من أهل الاختصاص في الشرعيات، ولا يخفى الخطر الجسيم في هذا لكل ذي لب.
- ✓ الحرية الواسعة في التعامل مع المعاني القرآنية دون ضوابط علمية في كتابات بعض المتأخرين غير المتخصصين.
- ✓ محاولة إيجاد دراسة علمية أكاديمية مركزة تبنى في تعاملها مع الآيات الكونية أصالة على لغة العرب وما صح من تفسير عن السلف؛ دون إغفال للحقائق العلمية الثابتة، انطلاقا من أن القرآن لا تنقضي عجائبه واستئناسا بما أثر عن ابن عباس خير مفسر للقرآن الزمان.

[1] سورة: فصلت ــ آية 52.

✓ قلة الكتابات المتخصصة في هذا الفن والتي تعنى بالمقارنة بين التفسير القديم والحديث.

أهمية البحث: تتجلى أهميته في:

- إن القرآن الكريم أنزل إلينا لنفهمه ونتدبره والآيات الكونية فيه لا يمكن فهمها فهما صحيحا في إطار اللغة وحده، ذلك لشمول الدلالة القرآنية ولكلية المعرفة التي لا تتجزأ .
- إن الدعوة إلى الله عز وجل بالإعجاز العلمي هي الوسيلة المناسبة لعصر ذاع فيه العلم والتقنيات الحديثة.
- تكامل النظرات في القرآن الكريم ونبذ الشبهات والافتراءات التي تنفي ربانية القرآن الكريم وسماوية الإسلام ونبوة الرسالة المحمدية.
- استنهاض عقول المسلمين واستثارة التفكير الإبداعي والتشجيع على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التي تخلفت فيها الأمة مؤخرا تخلفا كبيرا في الوقت الذي تقدمت فيه دول الشرك والكفر والإلحاد تقدما مذهلا وأصبحت مخاطر ذلك علينا تتضاعف.
- خدمة القرآن الكريم بما يناسب الأجيال المعاصرة ، والوقوف على دقة استعمال الألفاظ في القرآن الكريم في الإشارة إلى الظواهر العلمية.

الإشكالية: يمكن صياغة إشكالية البحث فيما يلي:

- هل ثمة حاجة إلى تفسير جديد للقرآن الكريم موازاة مع هذا الانفجار العلمي والتقدم التكنولوجي؟ و هل فعلا يحتاج المسلم إلى رؤية جديدة للتفسير ؟
- ما مدى استعمال الآليات الحديثة والمكتشفات العصرية في هذا التفسير؟
- هل يمكن للتفسير العلمي أن يساهم في إبراز معان جديدة تكشف عن مراد الله عز وجل ؟ وكيف ذلك؟

- هل يمكن أن يرقى التفسير العلمي المؤسس على حقائق علمية إلى درجة الحجية في الترجيح بين أقوال المفسرين الاجتهادية ؟

الدراسات السابقة: وقفت على دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع، منها:

1 -رسالة ماجستير بعنوان: الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريموالأديان السماوية الأخرى دراسة مقارنة، إعداد أشرف أحمد محمد عماشة، جامعة المنوفية كلية الآداب، بإشراف: الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي.

اهتمت بالمقارنة بين نظرة القرآن الكريم والكتاب القدس إلى الكون من جهة، ونظرة القرآن الكريم والعلم القديم والحديث من جهة أخرى.وهي تختلف عن موضوعي من عدة أوجه:

– موضوع الدراسة يوسع معاني الإشارات الكونية الواردة في القرآن الكريم بالتعرف على نظرة المفسرين القدامى والمحدثين؛ ثم نظرة العلم الحديث بخلاف الرسالة.

– موضوع الدراسة يبحث في إمكانية توظيف الحقائق العلمية القطعية في تفسير الظواهر الكونية لرد الاجتهادات التفسيرية المخالفة ليقينيّات العلم الحديث.

2 -رسالة ماجستير بعنوان الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم، إعداد خالد بن عميمور جامعة الأمير عبد القادر بإشراف: أ.د عمر بوقرورة.

ركزت على إظهار وجه معين من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو البيان، وموضوعي يختلف عنها بدراسة مقارنة بين نظرة السلف والخلف لهذه الآيات الكونية، مع إبراز الإعجاز العلمي لبعضها إن وجد.

3 -الآيات الكونية والإنسانية في تفسير التحرير والتنوير دراسة تقويمية أ. محمد كمال إبراهيم جامعة الأزهر وهي رسالة دكتوراه

هذه الرسالة تركز على إظهار نظرة الإمام للآيات الكونية وهو نموذج للمفسرين المحدثين، وموضوعي أعم من ذلك بالتعرض للقدامى والمحدثين.

4 -رسالة ماجستير بعنوان تطابق بعض الظواهر الجغرافية مع الآيات القرآنية في بعض سور القرآن، إعداد رشاد عبد الواحد سعيد الكامل. جامعة اليمن .

يختلف موضوعي عن هذه الرسالة في توسيع نطاق البحث في مفهوم الآية عند القدامى والمحدثين، إضافة إلى ذلك فهذه الرسالة يحاول صاحبها إظهار الإعجاز العلمي للآيات التي تحدثت عن بعض الظواهر الجغرافية، والإعجاز ما هو إلا صورة من صور التفسير العلمي؛ وعليه فيغفل عن قدر كبير من المعاني التراكمية التي يحويها التفسير العلمي عبر مر العصور، وتلاحق الأجيال وفقا لعلوم ومعارف زمانهم.

مصادر البحث:

بدأت دراستي في هذا الموضوع بجمع كتب التفسير العلمي والإعجاز العلمي ، إضافة إلى كتب علمية مساعدة في توضيح الظواهر الطبيعية بشكل مفصل ودقيق يتناسب مع دقة ألفاظ القرآن الكريم التي يحتاج لفهمها.

كذلك اعتمدت على المعاجم اللغوية، وكذا كتب التفاسير سواء التي تنقل إلينا ما أثر عن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، أو ما صنف من التفاسير بالدراية والتي تعتمد على اللغة بشكل واضح في تفسير الآيات

ولما كان الموضوع متشعب الأطراف كونه بين علماء التفسير القدامى والمحدثين توجب تحديد أهم المفسرين وكان الاختيار على النحو التالي:

1 -من المفسرين القدامى:

ابن جرير الطبري وابن كثير وابن عطية الأندلسي و الإمام القرطبي والزمخشري و الإمام الرازي والشوكاني وابن الجوزي وجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلى.

2- من المفسرين المحدثين:

الألوسي و المراغي ورشيد رضا والطاهر بن عاشور والشيخ طنطاوي جوهري و سيد قطب ومحمد الشعراوي.

منهج الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي معملا أداة:

- الاستقراء: وذلك باستخراج الآيات القرآنية المتعلقة بذات الموضوع.
- المقارنة لطبيعة الموضوع بين القدامى والمحدثين، وذلك للوقوف على ما أمكن استنباطه من نتائج.

خطة الدراسة:

اقتضت الدراسة أن يكون البحث في مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة:

جاء المدخل بعنوان: التفسير مفهومه وأنواعه، وتوزعت مادته على:

معنى التفسير بإيراد المدلولات اللغوية والاصطلاحية، مع ذكر أهميته وحاجة الأمة إليه وبيان أنواعه (التفسير بالمأثور – التفسير بالرأي)؛ وختمته بتوضيح مفهوم التأويل لغة واصطلاحا، مع ذكر الفرق بين التفسير والتأويل.

أما الفصل الأول فخصصته للجانب النظري، ويبحث في التفسير العلمي وعلاقته بالإعجاز؛ تضمن تمهيدا عن التفسير بالرأي وعلاقته بالتفسير العلمي؛ ومبحثين.

تناولت في الأول التفسير العلمي بين القبول والرفض، ويحوي أربعة مطالب مرتبة على النحو التالي:

المدلولات اللغوية والاصطلاحية للتفسير العلمي، مذهب العلماء الرافضين للتفسير العلمي وأدلتهم في ذلك، مذهب العلماء المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم في ذلك، الترجيح بعد مناقشة آراء الفريقين.

وأما الثاني فعنونته بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم والفرق بينه وبين التفسير العلمي؛ ويحوي بدوره أربعة مطالب مرتبة كما يلي:

المفهوم اللغوي والاصطلاحي لإعجاز القرآن، المعجزة وشروط تحقق الإعجاز، مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

الفصل الثاني والثالث خصصتهما للجانب التطبيقي.

جاء الفصل الثاني موسوما: المعاني والإشارات القرآنية المتعلقة باليابسة والماء. قسمته إلى ثلاثة مباحث، وكل مبحث يتضمن أربعة مطالب.

المبحث الأول منها: عنونته بتفسير الآيات المتعلقة بالأرض وفيه مسألتان: المسألة الأولى تبحث في نقصان الأرض من أطرافها ، والثانية في دحو الأرض.

وثانيها: عنونته بتفسير الآيات المتعلقة بالجبال وفيه مسألتان:

(شكل الجبال ووظيفتها، وصف القرآن للجبال بالرواسي) وتتضمنان سر وصف القرآن الكريم للجبال بالأوتاد والرواسي.

وثالثها: وسمته تفسير الآيات المتعلقة بالبحار وفيه مسألتان:

تشير الأولى إلى المقصود بالظلمات الثلاث في سورة النور، وتوضح الثانية المقصود بالبحرين في سورة الرحمن.

سيق الفصل الثالث لدراسة المعاني والإشارات القرآنية المتعلقة بالمجموعة الشمسية، ضمنته تمهيدا وثلاثة مباحث.

أوردت في المبحث الأول تفسير الآيات المتعلقة بالشمس وفيه مسألتان:

جاءت الأولى موضحة لمستقر الشمس، والثانية لحركة الشمس والقمر.

وجعلت الثاني لتفسير الآيات المتعلقة بالقمر، وبدوره يحوي مسألتين:

تتعلق الأولى بمنازل القمر، والثانية بضياء الشمس ونور القمر؛ وسر القرآن في التفريق بينهما.

وختمت الفصل بتفسير الآيات المتعلقة بالنجوم، وفيه ثلاث مسائل:

ذكرت في الأولى بيان المقصود بالنجم الثاقب، وثنيتها بمواقع النجوم، ثم خصصت الثالثة لمدلول الخنس الجواري الكنس.

وتناولت الفصلين التطبيقين باتّباع الخطوات التالية:

أشرت في كل مسألة إلى: (التفسير اللغوي، أقوال أهل التفسير من القدامى والمحدثين، التفسير العلمي ثم المناقشة والتحليل).

وخاتمة لأهم النتائج وآفاق البحث.

ولا يسعني في **الأخير** إلاّ أن أتوجّه بالشكر لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور خير الدين سيب على ما أحاطني به من كريم اهتمامه وخلاصة علمه ونفيس وقته. حريصا على أن يخرج البحث في أبهى حلّة، فله كل الشكر والتقدير، كما أشكر السادة العلماء أعضاء المناقشة على تجشمهم عناء متابعة هذه المذكرة وتصويبها فلهم مني جزيل الشكر والتقدير، وإلى كل من مدلي يد المساعدة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الرمشي في: 24 جمادى الأولى 1434هـ
الموافق لـ 10 مارس 2013م.

بن زيد باي.

المدخل: التفسير مفهومه وأنواعه

- **المطلب الأول**: مفهوم التفسير لغة واصطلاحا.
- **المطلب الثاني**: أهميته وحاجة الأمة إليه.
- **المطلب الثالث**: أنواعه (التفسير بالمأثور - التفسير بالرأي).
- **الطلب الرابع**: مفهوم التأويل لغة واصطلاحا، مع ذكر الفرق بين التفسير والتأويل.

المطلب الأول : تعريف التفسير لغة و اصطلاحاً

أولاً: التفسير في اللغة:

إن محور مادة التفسير يدور حول الكشف والإيضاح والبيان ، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلاَّ جِيْئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴿٣٣﴾﴾[1]، أي بياناً وتفصيلاً وهو مأخوذ من الفسر: أي الإبانة والكشف.

جاء في معجم مقاييس اللغة "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ الشيءِ وإيضاحِه".[2]

وجاء في لسان العرب: " الفَسْرُ: البيان، فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه و الفَسْرُ: كشف المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكِل، واسْتَفْسَرْتُه كذا، أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لي".[3]

وورد في مقدمة تفسير البحر المحيط: "... و يُطلق التفسير أيضاً على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرتُ الفرس: عرَّيته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري".[4]

وفي القاموس المحيط: "الفَسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل كضَرَب ونَصَر".[5]

بعد عرض أقوال أصحاب المعاجم يمكن القول أن معنى التفسير في اللغة: يدور حول البيان و الكشف و الإيضاح.

---

[1] سورة الفرقان- الآية:33

[2] ابن فارس- معجم مقاييس اللغة- ت : عبد السلام محمد هارون- دار الفكر للطباعة والنشر- (د.ط)- – 1399هـ- 1979م- ج : 4 - ص :504.

[3] - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي- بيروت - دار صادر–ط. 1- ج: 11 – ص : 128،

[4] - محمد بن يوسف أبو حيان - تفسير البحر المحيط - ت: عادل أحمد عبد الموجود- بيروت – دار الكتب العلمية- ط.1- 1413هـ- 1993م- ج: 1 – ص : 10

[5] الفيروز أبادي- لقاموس المحيط- بيروت - مؤسسة الرسالة- ط.8- 1426ه- 2005م- ص : 456.

ثانياً: التفسير في الاصطلاح:

تنوعت عبارات المعرفين لمصطلح التفسير بين مختصر فيها وموسع، فقد عرفه ابن جزي [1] (ت741هـ) فقال : "... ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه "[2].

وقال أبو حيان [3] رحمه الله (ت 745هـ): "التفسير: علم يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية ، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك "[4].

لا شك أنه ليس كل ما ذكره أبو حيان من التفسير إذ أن بيان كيفية النطق بألفاظ القرآن من مهمة مقرئ القرآن وليست من مهمة المفسر، وما يتعلق بالتفسير من هذا العلم ما كان له أثر في اختلاف المعنى.

---

[1]- ابن جزي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه «القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية - ط» بتونس، و «تقريب الوصول إلى علم الأصول» و »الفوائد العامة في لحن العامة» و «التسهيل لعلوم التنزيل - ط» تفسير، و »الأنوار السنية في الألفاظ السنية - ط» و «وسيلة المسلم» في تهذيب صحيح مسلم، و فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف سنة794ه .ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ت: محمد عبد المعيد ضان- مجلس دائرة المعارف العثمانية -(د.ط)-- 1392هـ- 1972م- ج :5- ص :89.

[2] -محمد بن أحمد بن جزي- التسهيل لعلوم التنزيل- بيروت- دار الكتب العلمية- ط. 1- 1415هـ -1995م- ج: 1 - ص : 9.

[3]- هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الأندلسي الغرناطي، نحويّ عصره ولغويّه ومفسّره ، ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة سنة أربع وخمسين، وستمائة للهجرة، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، وغيره، توفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة. ينظر: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي- معجم الشيوخ- ت : الدكتور بشار عواد- رائد يوسف العنبكي وغيرهما- دار الغرب الإسلامي- ط.1 - 2004م- ص: 472.

[4]- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط، - ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي معوض- ج :1- ص :121.

وعرفه الإمام الزركشي[1] رحمه الله (ت 794هـ) في موضعين من كتابه البرهان في علوم القرآن فقال في الموضع الأول: " التفسير: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المترل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحِكمه ".[2]

وقال في موضع آخر" : هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارة النازلة فيها ،ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومبينها"[3].

ويلاحظ أن الزركشي أطلق الفهم و لم يبين ضوابطه في التعريف الأول ، وتعرض في التعريف الثاني إلى العلوم التي تحويها كتب التفسير ولكثرتها فانه لم يحصرها في تعريفه وهذا ليس فيه تحديد دقيق لمصطلح التفسير.

وعرفه السيوطي[4] (ت911 هـ) بقوله: " هو علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها، ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها، وحلالها، وحرامها، ووعدها، ووعيدها، وأمرها، ونهيها، وعِبرها، وأمثالها ".[5]

---

[1]- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي الشافعي ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وكان رحالة في طلب العلم، وكثير التصانيف، توفي بمصر ودفن بالقرافة ، سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ت: محمد عبد المعيد ضان- ج :3- ص :397.

[2]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ت : محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة- مكتبة دار التراث-(د.ط)- (د.ت)- ج :1- ص :13.

[3] - المصدر نفسه- ج :2- ص :148.

[4] -هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان الخضيري الأسيوطي ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ونشأ في القاهرة يتيما، اشتغل بالعلوم وكان عَلَماً، توفى ليلة الجمعة لتسعة عشر يوماً خلت من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة، وكان عمره إحدى وستين سنة، ينظر: أحمد بن محمد الأدنروي – طبقات المفسرين – ت: سليمان بن صالح الخزي- المدينة المنورة- مكتبة العلوم والحكم- ط.1- 1997م- ص365.

[5] جلال الدين السيوطي – الإتقان في علوم القرآن-ت: سعيد المندوب – لبنان – دار الفكر- 1416هـ - 1996م – ص:435

و عرفه محمد الطاهر ابن عاشور [1] (1394هـ) بأنه " اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسع".[2]

ولعل أحسن التعاريف وأجمعها تعريف صاحب كتاب مناهل العرفان :"التفسير علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية "[3]

وترجيح هذا التعريف على غيره لأمرين اثنين:

الأول: كونه مختصرا وجامعا مانعا.

الثاني: لقيد بقدر الطاقة البشرية، إذ الوصول إلى مراد الله تعالى متعذر، ولملاحظته الغاية من نزول القرآن الكريم.

[1] عالم أصولي وفقيه ولغوي تونسي، ولد سنة 1296هـ أسرته منحدرة من الأندلس، تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته، رئيس المفتين المالكيين بتونس وتوفي سنة 1394هـ. ينظر:عادل نويهض- معجم المفسرين- مؤسسة نويهض الثقافية – ط.3-1409هـ-1988م- ج :2- ص :541.

[2] – الطاهر بن عاشور- تفسير التحرير والتنوير- تونس- الدار التونسية للنشر- (د.ط)-1984م- ج :1- ص :11.

[3] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان- ت :فواز أحمد زمرلي-بيروت- دار الكتاب العربي- ط. 1- 1415ه-1995م- ج:2- ص:3.

المطلب الثاني: الحاجة إلى الـــتفسير

تشير الكثير من الآيات القرآنية إلى أن القرآن الكريم واضح الأهداف، بين الغايات بالمقابل عندما نلقي نظرة عما خلفه لنا علماء الأمة في مجال التفسير نذهل لعظمة هذا التراث. فما السر إذن في تعاطي المسلمين لهذا العلم الشريف رغم أن القرآن يصرح بأنه واضح ليس بعده بيان، وميسر ليس بعده يسر. يمكن إجمال الأسباب التي جعلت من التفسير حاجة ملحة لفهم القرآن الكريم في نقاط أساسية هي:

1- فهم القرآن و تدبره واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة، و يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[2]

2 - ظهور الفرق المبتدعة من شيعة وخوارج وغيرهما وتجرئها على القرآن و استمدادها منه شرعيتها. كما أن الدخلاء على الإسلام من أصحاب الثقافات المشرقية أو اليونانية كانوا وراء التفسير المغرض والتأويل الفاسد لآي الذكر الحكيم.

وفي ذلك يقول ابن تيمية [3] (661 هـ): "إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والا ختلاف صار أهل التفرق، والاختلاف شيعا، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر، والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه"[4].

---

[1] -سورة ص – الآية : 28.

[2] -سورة محمد – الآية : 25

[3] -هو أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، ولد بحرَّان سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة، ورحل إلى دمشق مع أسرته هربًا من غزو التتار، تلقى العلم حتى آلت إليه الإمامة، وتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ينظر: الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز- معجم المحدثين – ت: د. محمد الحبيب الهيلة- الطائف- مكتبة الصديق–، ط. 1- 1408هـ- ص: 11

[4] ينظر :السيوطي- الإتقان في علوم القرآن - ج 2 ، ص : 296

هذا التجرؤ على القرآن جعل علماء الأمة الغيورين يتصدون بتفسيرهم للقرآن الكريم تفسيرا يكشف في وضوح كليات العقيدة الإسلامية ويبين للناس طريق الهدى وسبل الرشاد.

3- إن القرآن الكريم يصلح الزمان ويصلح المكان و الحياة دائمة التطور في كافة المجالات، علميا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، مما يحتم علينا الرجوع إلى القرآن الكريم نتلمس فيه القول الفصل في هذه الأمور التي استجدت.

4- انتشار اللحن والبعد عن الفصحى، جعل من التفسير حاجة ملحة كذلك لفهم القرآن الكريم الذي هو منهاج المسلم في حياته. فلا يمكن أن يتبعه ويحكمه في حياته ما لم يتفهمه ويتدبره.

وقد أجاد الإمام السيوطي عندما بين أسباب احتياج المسلمين إلى التفسير قائلا :"وأما وجه الحاجة إليه فقال بعضهم : أعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه . ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، أنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهي أن كل من وضع من البشر كتابا فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة:

أ- كمال فضيلة المصنف. فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

ب- إغفاله بعض تتمات المسألة أو شروط لها اعتمادا على وضوحها أو لأنها من علم آخر فيحتاج لبيان المحذوف ومراتبه .

ح- احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام. فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذف المبهم وغير ذلك، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك"[1].

من كل ما سبق يتبين لنا أن تفسير القرآن الكريم ضرورة ملحة، يفرضها الأمر بالتدبر والتذكر والاعتبار ومعرفة شرع الله كمنطلق أساسي لتحكيمه في واقعنا ؛كما يفرضه جهلنا بعلوم اللغة وعلوم القرآن، وأخيرا تفرضه ظروف المواجهة و التحدي.

[1] أحمد بن تيمية -مجموع فتاوى بن تيمية - المغرب - الرباط - مكتبة المعارف-(د.ط)- (د.ت)- ج :13- ص :59.

المطلب الثالث: أنواع التفسير

لقد تعدَّدت وتنوَّعت كتب التفسير، مما يدل على مدى اهتمام المسلمين بكتاب الله، وبذلهم جهودًا لشرحه من جوانب مختلفة، وقد حصر بعض العلماء كتب التفسير المعروفة في مجموعات حسب تقسيمات علمية إلى نوعين رئيسيين:

- التفسير بالمأثور: وهو تفسير بالرواية أو بالمنقول.
- التفسير بالرأي: وهو تفسير بالدراية أو بالاجتهاد.[1]

أولاً: التفسير بالمأثور (بالرواية)، وأقسامه:

1- : مفهوم التفسير بالمأثور:

بعد التعرف على معنى التفسير لغة فيما سبق يتعين معرفة المأثور من الناحية اللغوية.

المأثور لغة : " مأخوذ من الأثر، وهو بقية الشيء، جمع آثار وأثور، والأثر: مصدر قولك أثرت الحديث آثره، إذا نقلته عن غيرك ورويته، ومن هنا قيل: حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضا أي ينقله خلف عن سلف ".[2]

التفسير بالمأثور اصطلاحا:

تتشابه تعريفات أهل العلم للتفسير بالمأثور فقد عرفه الإمام الزرقاني : "بقوله هو تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه، أو بالسنة النبوية، أو بما نقل عن الصحابة الكرام، وبما نقل عن التابعين".[3]

وعرفه مناع القطان فقال: "هو الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة لأنهم اعرف الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة.[4]

---

[1] ينظر: أحمد حسن فرحات- في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق-الأردن- دار عمار- (د.ط)-1421هـ- 2001م- ص: 251.

[2] ينظر: ابن منظور- لسان العرب- مادة: (أثر)- ج: 01- ص: 69 و الفيروز آبادي- القاموس المحيط- ج: 1- ص: 682.

[3] ينظر:الزرقاني- مناهل العرفان- ج: 02- ص: 12.

[4] - ينظر: مناع القطان – مباحث في علوم القرآن- القاهرة – مكتبات وهبة – ط7- (د.ت)- ص : 337

هذا المسلك يتوخى الآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها، لا يجتهد في بيان معنى من غير أصل ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

ومما سبق فمراتب التفسير بالمأثور على النحو التالي:

1- تفسير القرآن بالقرآن:

لقد تكفل الله ببيان القرآن وتفصيله وإيضاحه قال تعالى : ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[1]، ومن بيان القرآن ما جاء في القرآن نفسه إذ أن تفسير القرآن بالقرآن من أصح طرق التفسير وأبلغها، ولا عجب في ذلك لأن قائل الكلام هو أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، ولذا فقد عد العلماء هذا اللون من التفسير في الدرجة الأولى، وأنه من أعلى المصادر وأجودها ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن أصح الطرق في ذلك ــ أي في التفسير ــ: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر".[2]

وأول من استعمل القرآن الكريم في تفسيره هو النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَت هَذه الآيَةُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3]. شَقَّ ذَلكَ عَلَى أَصحَاب النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وَقَالُوا: أَيُّنَا لَم يَلبس إِيمَانَهُ بظُلمٍ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:

" **إِنَّهُ لَيسَ بِذَاكَ أَلَا تَسمَعُونَ إِلَى قَولِ لُقمَانَ**: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[4]" [5]

---

[1] ــ سورة الأنعام- الآية 127.

[2] – ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير – ت : عدنان زرزور- ط.2- 1392 ه- 1972م – ص : 93.

[3] – سورة الأنعام- الآية :83.

[4] ــ سورة لقمان- الآية :13.

[5] – أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم (6520) ــ ص: 2535.

2- تفسيراً للقرآن بالسنة النبوية:

إن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في الدرجة الثانية من ألوان التفسير، إذ هو صلى الله عليه و سلم المكلف بالبيان والشرح، وخير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم، مع أنا نقطع بعصمته وتوفيقه صلى الله عليه وسلم[1]، كما قال الله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.[2]

قال الإمام الطبري (310 هـ)[3] رحمه الله تعالى: "إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه ومندوبه، وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته".[4]

ثم يضيف قائلا: "وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأويله بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله".[5]

وورد في كتاب الموافقات في أصول الفقه: "إن السنة توضح المجمل وتقيد المطلق وتخصص العموم ، فتخرج كثيرا من الصيغ القرآنية عن ظاهر مفهومها في أصل اللغة ، وتعلم بذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ، فإذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالا في نظره ، جاهلا بالكتاب، خابطا في عمياء، لا يهتدي إلى الصواب فيها، إذ ليس للعقول من إدراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيوية إلا الترر اليسير، وهي في

---

[1] - ينظر:الزرقاني- مناهل العرفان- ج : 02- ص: 13.

[2] - سورة النحل- الآية :44.

[3] - هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجامع للعلوم المجتهد، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة في آمل طبرستان، ورحل إلى بغداد واستقربه المقام بها حتى توفى سنة عشر وثلاثمائة، ينظر: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - ت : د. محمود محمد الطناحي و د.عبد الفتاح محمد الحلو- هجر للطباعة والنشر والتوزيع- ط.2- 1413هـ- ج : 03- ص: 120

[4] - الطبري - جامع البيان – ت : أحمد شاكر - مصر- دار المعارف - ج: 01- ص: 74.

[5] - المصدر السابق- نفس الصفحة

الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل". [1]، ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة النبوية قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[2] فقد فسَّر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي.[3]

3 – تفسير القرآن بأثر الصحابة:

تميز الصحابة رضي الله عنهم بمعاشرتهم لعصر التنزيل، فرأوا الآيات وهي تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقلوا عنه ما فسر لهم من الآيات، كذلك كانوا فصحاء وبلغاء وأهل اللغة التي نزل بها القرآن ، ولهم من الفطنة والذكاء وبعد النظر، وعظمة الاستنباط، ما جعل لهم كبير الأثر في التفسير ونقله.

ومن أمثلة تفسير القرآن بأثر الصحابة ما يلي:

1- ما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن عباس في تفسير قوله الله تعالى : ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾[4] قال: أما الأولى فحين قال: " ما علمت لكم من إله غيري " وأما الآخرة فحين قال:" أنا ربكم الأعلى."[5]

4 – تفسيراً للقرآن بأقوال التابعين:

التابعون خيرُ الناس بعد الصحابة وكانوا أسلم من الأهواء ممن بعدهم، و لم تكن اللغة العربية تغيَّرت كثيراً في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم؛ لأنهم تلقَّوه من الصحابة غالباً. واختلف أهل العلم في هذا القسم، هل بعد من أنواع التفسير بالمأثور أم من أنواع الرأي والاجتهاد.

---

[1] – ينظر: الشاطبي – الموافقات في أصول الفقه– دار ابن عفان– 1418 ه– 1997م – ج : 04– ص: 29.

[2] – سورة الأنفال– الآية :61.

[3] – أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الإمارة، رقم (3541).

[4] – سورة النازعات – الآية :25.

[5] – ينظر: الطبري – جامع البيان–ج : 30– ص: 100.

يقول الدكتور الذهبي رحمه الله تعالى: "والذي تميل إليه النفس هو أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه ، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة ، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب ، فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه ، أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره "[1]

ومن أمثلة تفسير القرآن بأقوال التابعين:

ما رواه الإمام ابن جرير عن الإمام مجاهد في قوله : ﴿كَلاَّ بَل رَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[2]، " قال الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، حتى تغشى الذنوب عليه قال مجاهد: مثل الآية التي في سورة البقرة ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾"[3، 4]

ويلاحظ على هذا المنهج من التفسير – عموماً – أنه يعتمد على الرواية الثابتة في تفسير القرآن الكريم، سواء أكانت تلك الرواية نصاً من القرآن أو السنة، أم قولاً لصحابي أو تابعي.

[1] – حسين الذهبي– التفسير والمفسرون– ج : 01– ص: 128.

[2] – سورة المطففون– الآية :14.

[3] – سورة البقرة– الآية :80.

[4] – ينظر: الطبري – جامع البيان –ج : 30– ص: 100.

ثانيا –: التفسير بالرأي:

1– الرأي: لغة:

يدور معنى الرأي في اللغة حول ما يراه الإنسان ويعتقده في أمر ما، قال ابن فارس (395هـ) رحمه الله: " (رأى) الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء "[1]

2– التفسير بالرأي اصطلاحا :

التفسير بالرأي قائم على أن يُعْمِلَ المفسر عقله في فَهْمِ القرآن، والاستنباط منه اعتماداً على علوم اللغة ، وأصول الدين ، والفقه ما لم يعارض المأثور وإلا اعتبر فاسداً.

قال أبو محمد البغوي[1] (510هـ): "هو صرف الآية إلى معنى محتملٍ موافق لما قبلها ، وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط".[2]

وقال محمد حسين الذهبي: " يُطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي: أي أصحاب القياس ؛ والمراد بالرأي هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلة ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر ".[3]

---

[1] – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ولد سنة ست وثلاثين وأربعمائة للهجرة ، محدِّث فقيه مفسر، من مصنفاته: شرح السنّة، ومعالم التنزيل، والمصابيح، وغيرها، توفى سنة عشر وخمسمائة للهجرة، ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان–، ت: إحسان عباس– بيروت– دار صادر– ط.1– 1994م.

[2] – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – معالم التنزيل– ت: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش– دار طيبة– ط.4 – 1417هـ– 1997م– ج : 01– ص: 46.

[3] محمد حسين الذهبي– التفسير والمفسرون– القاهرة– مكتبة وهبة– ط.7– 2000م– ص :183

وذكر محمد الزرقاني (1367هـ)[1] أن المراد بالرأي هنا: "الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد مُوَفَّقاً- أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه - بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود ، وإلا فمذموم".[2]

ومن خلال التعاريف السابقة يمكن القول أن التفسير بالرأي: هو تفسير القرآن وفقاً لقواعد صحيحة من اللغة العربية، لا يخالف نصاً من الرواية الصحيحة، ولا أصلاً من الأصول الشرعية.

3- حجية التفسير بالرأي:

التفسير: بيان وإيضاح لمراد الله - سبحانه – بكلامه، ولما كان كذلك، فإن المتصدي للتفسير عرضة لأن يقول: معنى قول الله كذا، ثم قد يكون الأمر بخلاف ما قال.

ومن هذا المنطلق قسم العلماء التفسير بالرأي إلى قسمين:

الأول- التفسير بالرأي المحمود المقبول:

هو تفسير القرآن بالاجتهاد المبني على أصول صحيحة وقواعد سليمة، وبيان معانيه يقول الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة : "أما التفسير المقبول فهو التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية ، والقواعد الشرعية، والأصولية، وعلم السنن ، والأحاديث، ولا يعارض نقلا صحيحاً، ولا عقلا سليماً، ولا علماً يقيناً ثابتاً مستقراً، مع بذل غاية الوسع في البحث، والاجتهاد والمبالغة في تحري الحق والصواب، وتجريد النفس من الهوى".[3]

الثاني – التفسير بالرأي المذموم المردود:

هو القول في القرآن بغير علم، سواءً أكان عن جهلٍ أو قصورٍ في العلم أم كان عن هوى

---

[1] – هو محمد عبد العظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر بمصر ، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة عام سبع وستين وثلاثمائة وألف للهجرة- الموافق ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية، ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي- الأعلام - دار العلم للملايين- ط.15- 2002 م- ج: 01-ص: 128.

[2] – الزرقاني- مناهل العرفان- ج : 02- ص: 49.

[3] محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث- القاهرة - مكتبة السنة- ط.4- 1408هـ. ص:82.

يدفع صاحبه إلى مخالفة الحق.

يقول أبو شهبة: "هو التفسير بدون علم ، والجهل بقواعد الشريعة واللغة، أو التفسير بالهوى والخروج عن قواعد العلم بأن يكون مقصود القائل به تأييد مذهبه الفاسد ورأيه الباطل ، وهذا اللون من التفسير يشمل الأقوال التي مبناها على الروايات الواهية والباطلة ، كتفسير أهل الأهواء والبدع، ولا شكّ أنّ التفسير بالرأي إن لم يتقيَّد بشروط المفسر وضوابط التفسير، كان خطراً وباباً مفتوحاً للتعصب، بل للخروج بكلام الله عن مراده ".[1]

و قد ورد في كتاب الإتقان في علوم القرآن صورا خمسا للتفسير بالرأي المذموم المردود

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير المقَرِر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان و الهوى.[2]

وعليه فإن التفسير المذموم المردود هو التفسير بالرأي المبني على محض التشهي والهوى والقائم على قواعد الجهل بالشريعة واللغة؛ يقول الله تعالى: ﴿قُلِ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالِاثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.[3]

[1] – محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث – ص:82.

[2] – ينظر :جلال الدين السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ص :220.

[3] – سورة الأعراف- الآية : 33

المطلب الرابع: مفهوم التأويل والفرق بينه وبين التفسير.

التأويل لغة واصطلاحا:

1- التأويل لغة: يدور معنى "الأول" في اللغة حول العود والرجوع[1]،جاء في صحاح اللغة: "التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء، و قد أولته و تأولته بمعنً".[2]

وفي مقاييس اللغة "وآل يؤول أي رجع. قال يعقوب: يقال" أول الحكم إلى أهله" أي أرجعه و رده إليهم".[3]

وورد في معجم العين : " آل اللبن يؤول أَوْلاً و أَوُولاً: خثُر، وكذلك النبات. قال أبو حاثم : آل اللبنُ على الإصبع ، وذلك أن يروب فإذا جعلت فيه الإصبع قيل آل عليها. وآل القطران إذا خثر، وآل جسم الرجل إذا نحف، و هو من الباب، لأنه يحور ويحري، أي يرجع إلى تلك الحال. "[4]، وفيه أيضا : " ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَاوِيلَهُۥ يَوْمَ يَاتِى تَاوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[5] يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم و نشورهم."[6]

وورد في لسان العرب: " الأول: الرجوع، آل الشيء يئول أولا ومآلا: رجع ، وأول إليه الشيء: رجعه، وألت عن الشيء: ارتددت... والإيل والأيل : من الوحش، وقيل هو الوعل ؛ قال الفارسي : سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه"[7]

---

[1] – ينظر :سليمان الطيار– مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر – دار ابن الجوزي – ط2– 1427هـ– ص :91.

[2] – ينظر : الجوهري– الصحاح– مادة (أول)– ج :04– ص :1647.

[3] – ابن فارس– مقاييس اللغة– مادة (أول)– ج :01– ص :159.

[4] – الخليل أحمد– معجم العين– مادة (أول)– ج :01– ص :162.

[5] – سورة :الأعراف – الآية :53.

[6] – المصدر السابق– نفس الصفحة.

[7] – ينظر : ابن منظور– لسان العرب– مادة (أول)– ج :01– ص :195.

أ – التأويل في الاصطلاح:

يختلف مفهوم التأويل بين السلف والخلف حسب زاوية النظر التي يراه منها كل فريق.

1– التأويل عند السَلَف: التأويل عند السلَفَ له معنيان:

أحدهما: يراد بلفظ التأويل: التفسير، و هو اصطلاح كثير من المفسرين؛ و لهذا قال مجاهد– إمام أهل التفسير – إن (الراسخين في العلم) يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.[1]

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً ، كان تأويله نفس الشيء المخْبَر به [2].

2 – التأويل عند المتأخرين:

يختلف التأويل عند المتأخرين عنه عند المتقدمين، يقول الدكتور حسين الذهبي: "هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف".[3]

وفي جمع الجوامع وشرحه: " التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حُمِل عليه لدليل فصحيح، أو لما يُظَن دليلاً في الواقع ففاسد، أو لا شيء فلعب لا تأويل".[4]

الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، فمنهم من جعل التفسير والتأويل بمنزلة واحدة، ومنهم من أكد على وجود تغاير بينهما.

---

[1] – ينظر : ابن تيمية – مجموع الفتاوى– ج :05– ص :35.

[2]–حسين الذهبي– التفسير والمفسرون– ج :01– ص :15.

[3] – نفس المصدر– نفس الصفحة.

[4] – تاج الدين بن علي السبكي– جمع الجوامع في أصول الفقه– ت :عبد المنعم خليل إبراهيم– لبنان– بيروت– دار الكتب العلمية– ط.2– 1424ه– 2003م– ص :55.

قال بدر الدين الزركشي(741هـ): "ثم قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغايرهما".[1]

وقال في موضع آخر: "وكأن السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحمل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً "[2].

وقال محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون : " والذي تميل إليه النفس أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية ، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية ؛ وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي ، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم"[3].

وأضاف قائلا: "وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستنباط المعاني من كل ذلك "[4].

وخلاصة القول فالتفسير مغاير للتأويل، حيث أن الاجتهاد في التفسير بالرأي هو التأويل وبذلك يحصل التمايز بين التفسير بالمأثور والتفسير بالدراية .

[1] – الزركشي – البرهان في علوم القرآن– ج :02– ص :149.

[2] – نفس المصدر– ص :172.

[3] –حسين الذهبي– التفسير والمفسرون– ج :01– ص :18.

[4] – نفس المصدر– نفس الصفحة.

الفصل الأول:

التفسير العلمي وعلاقته بالإعجاز

❖ **تمهيد: التفسير بالرأي وعلاقته بالتفسير العلمي**

❖ **المبحث الأول: التفسير العلمي بين القبول والرفض**

- ✓ المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتفسير العلمي
- ✓ المطلب الثاني: العلماء الرافضون للتفسير العلمي وأدلتهم في ذلك
- ✓ المطلب الثالث: العلماء المؤيدون للتفسير العلمي وأدلتهم في ذلك
- ✓ المطلب الرابع: مناقشة آراء الفريقين والترجيح

❖ **المبحث الثاني: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والفرق بينه وبين التفسير العلمي**

- ✓ المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي لإعجاز القرآن
- ✓ المطلب الثاني: المعجزة وشروط تحقق الإعجاز
- ✓ المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم
- ✓ المطلب الرابع: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

إن تفسير القرآن الكريم واجب إيماني وتكليف شرعي يخدم كتاب الله، وللتفسير مناهجه وألوانه الكثيرة والمتعددة، فمن أقسامه التفسير بالرأي ، وقد قسمه أهل العلم إلى تفسير محمود مقبول وهو ما بني على أصول صحيحة وقواعد سليمة؛ وقسم ثان مذموم مردود وهو القول في القرآن بغير علم، سواءً أكان عن جهلٍ أو قصورٍ في العلم أم كان عن هوى يدفع صاحبه إلى مخالفة الحق.

وللتفسير بالرأي اتجاهات كثيرة، ولعل أشهرها في عصرنا الحديث ما أطلق عليه مصطلح "التفسير العلمي للقرآن" وهو من المصطلحات الحديثة في الأوساط العلمية ، وهو يشير إلى تأويل بعض الآيات القرآنية أو تفسيرها بما يتفق وبعض النظريات العلمية أو الاكتشافات الحديثة، ولذلك اختلفت وجهات أنظار العلماء إليه.

فمنهم من يرى فيه فتحاً جديداً ، وأسلوبا ناجعا يتماشى ومعارف الناس وثقافاتهم، ومن ثم فهو سلاح للدعوة إلى الله وهداية الناس، ومنهم من يرى أن هذا اللون من التفسير يخرج بالقرآن الكريم عن الغاية ، والهدف الذي أنزل من أجله ، أو أن فيه إفساحا غير مسؤول، للعقل البشري أن يجرب فيه فيخطئ ويصيب ؛ وقد أدلى كل فريق برأيه الذي يراه الحق والصواب، منافحا عنه بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية ؛ والخلاف قديم حديث بين أهل العلم في حجية هذا اللون من التفسير.

المبحث الأول : التفسير العلمي بين القبول والرفض.

المطلب الأول : المدلولات اللغوية والاصطلاحية للتفسير العلمي.

1-التعريف اللغوي للتفسير العلمي.

التفسير العلمي مركب وصفي لتحديد معناه يجب تحديد معنى جزأيه ؛ أما تعريف التفسير لغة فقد سبق بيانه ، وأما العلمي فنسبة للعلم الذي هو في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة.

يقول ابن منظور (711هـ): والعلم: نقيض الجهل وعلمت الشيء أعلمه علما عرفته".[1]

وعليه فلفظ العلم يدور في اللغة حول الفهم والمعرفة والجزم والإدراك، وهو ضد الجهل.

العلم في الاصطلاح :

إن تعريف العلم يختلف باختلاف معرّفيه تبعًا لمجال تخصصاتهم ،كالفلاسفة والماديين والمتكلمين وعلماء الشريعة وغيرهم وقد أورد الزرقاني في كتابه مناهل العرفان ما مجمله :

- **العلم عند الفلاسفة أومن يسمّون بالحكماء:** يرون العلم صورة الشيء الحاصلة في الذهن.
- **العلم عند المتكلمين:** صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به.
- **العلم عند الماديين:** يعرفونه بحصول اليقينيات المستندة إلى الحس، فيُخرجون الغيبيات وما لا تقع عليه الحواس عن مسمى العلم.[2]

أما علماء الشريعة فالعلم عندهم يتضمن: العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في خلقه وأوامره ونواهيه.[3]

وإذا نظرنا إلى أهل التدوين فإنهم يعرفون العلم: بمجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها[4].

---

[1] – ابن منظور – لسان العرب- مادة(علم)- ج :10-ص :264.

[2] – ينظر :عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان-ج :1-ص :14.

[3] – ينظر: أبو حامد الغزالي – إحياء علوم الدين–مكتبة كرياتا فوترا سماراغ – (د.ط)- (د.ت)- ج :1-ص :39.

[4] – المصدر السابق-نفس الصفحة.

بعد ذكر التعريفين السابقين للتفسير والعلم يعرف مفهوم: التفسير العلمي باعتباره مصطلحًا مركبًا من الكلمتين معًا.

2-التعريف الاصطلاحي للتفسير العلمي:

اختلفت وتنوعت تعاريف أهل العلم لمصطلح التفسير العلمي تبعا لموقف المعرف من هذا النوع من التفسير.

عرفه الشيخ أمين الخولي بقوله : "هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها ".[1]

وبالنظر إلى تعريف الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي للتفسير العلمي في كتابه التفسير والمفسرون[2]، فانه يطابق تعريف الخولي.

وقال الدكتور موسى شاهين لاشين في تعريفه : " هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته"[3].
ويلاحظ على هذا التعريف أنه نفس التعريف السابق مع إخراج الآراء الفلسفية منه ، و لم يشر الدكتور إلى مصدره .

ونحى الدكتور محمد الصباغ نفس المنحى، فقال في تعريفه : "إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية [4]، وهو تصرف بسيط في تعريف الخولي السابق.

---

[1] – أمين الخولى- التفسير نشأته ، تدرجه ، تطوره – بيروت- دار الكتاب اللبناني- ط.1- (د.ت)- ص: 49.

[2] – محمد حسين الذهبي – التفسير والمفسرون – ج :2 – ص :349 .

[3] موسى شاهين لاشين- اللآلئ الحسان في علوم القرآن – القاهرة- دار الشروق- ط.1- 1423- 2002م- ص:336.

[4] محمد بن لطفي الصباغ- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير - المكتب الإسلامي- ط.3- 1410 ه-1990م - ص: 293.

ولا يبتعد تعريف الدكتور عبد المجيد المحتسب عن تعريف سابقيه إذ يقول: " هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها".[1]

ملاحظات على التعريفات السابقة :

- المبالغة والقسوة في توظيف لفظة (التحكّم) في التعريفات السابقة كأن كل تفسير علمي يخضع عبارات القرآن للاصطلاحات العلمية والحقيقة خلاف ذلك ، إذ وإن صدق على بعض التفسير المحتمل فإنه لا ينطبق على البعض الآخر.

- لا علاقة للقضايا الفلسفية بالعلم التجريبي والكوني.

- تعريف التفسير العلمي يتأثر بموقف المعرف له منه تأييداً أو اعتراضاً ومنعاً ، وهذا ما أشار إليه الدكتور أحمد أبو حجر في كتابه التفسير العلمي في الميزان قائلا : " إن كل من يُعرِّف التفسير العلمي بهذا الشكل إنما يُعرّفه من وجهة نظره المانعة لهذا الاتجاه في التفسير ".[2]

وعرفه عبد الله الأهدل في رسالته: "التفسير العلمي دراسة وتقويم بأنه: "تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث بغض النظر عن صوابه وخطئه ".[3]

وقال الدكتور فهد الرومي: "والذي يظهر لي – والله أعلم – أن التعريف الأقرب إلى أن يكون جامعاً مانعاً أن يقال: " المراد بالتفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان "[4].

ثم شرح تعريفه فقال: ولا شك أن وصفه بـــ" اجتهاد المفسر" يدخل فيه التفسير العلمي المقبول والمرفوض لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب ، وقولنا " الربط" ليشمل ما هو تفسير وما هو

---

[1] عبد المجيد المحتسب- اتجاهات التفسير في العصر الراهن- الأردن- مكتبة النهضة الإسلامية- ط.3- 1402 هـــ- 1982 م- ص: 247.

[2] – أحمد أبو حجر- التفسير العلمي في الميزان – بيروت- دار قتيبة- ط.1- 1411هـــ-1991م- ص:71.

[3] عبد الله بن عبد الله الأهدل – التفسير العلمي للقرآن الكريم ، دراسة وتقويم- رسالة ماجيستار- 1402 هـــ- ص15.

[4] فهد الرومي- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر- الرياض- مكتبة التوبة- ط.9- 1421 هـــ- ج :2-ص :549.

من قبيله كالاستئناس بالآية في قضية من قضاياه ونحو ذلك ، وقولنا "العلم التجريبي" يخرج بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها، وقولنا "على وجه" لبيان ثمرته.

وقولنا "يدل على مصدره" نقصد به أنه إذا ما ثبت هذا التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم و لم يقع أي تعارض بين نص قرآني وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحداثتها فإنه لا يمكن أن يقول مثل هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون ولابد من أن يكون المتكلم بها هو موجد هذه الحقائق ومكونها وهو الله سبحانه وتعالى ، وقولنا " وصلاحيته لكل زمان ومكان" نقصد به أنه صالح لكل عصر لا تأتي عليه الأيام ولا الحدثان بما يبطل شيئاً منه فهو صالح لكل عصر وأوان.

هذا ما ظهر لي الآن من المعنى المراد به. (والله أعلم)[1].

ويلاحظ على هذا التعريف تضييق لمجال التفسير العلمي وحصره في الآيات الكونية، كما أنه حصر مفهومه في دائرة الإعجاز دون غيرها ، والتفسير العلمي أوسع من ذلك.

أما الدكتور أحمد أبو حجر فعرفه بقوله: "هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه "[2].

وعرفه الدكتور عادل بن علي الشدي بقوله : "هو استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها".[3]

ولكن الدكتور عند شرحه لتعريفه، أضاف قيدا آخر وهو كلمة (حقائق) معللا ذلك لتضييق دائرة التفسير العلمي.

ولعل هذا التعريف الأخير والله أعلم أقرب التعاريف إلى الصحة وأصوبها؛ غير أنه يلغى القيد الذي أضافه، للتمييز بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

---

[1] – فهد الرومي– اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري – ج :2– ص :549.

[2] أحمد أبو حجر– التفسير العلمي في الميزان – ص :72.

[3] عادل بن علي الشدي– التفسير العلمي للقرآن الكريم– الرياض– مدار الوطن للنشر– ط.1– 1431هـ– 2010م– ص:15

اختلفت آراء العلماء و الباحثين في هذا النوع من التفسير و تباينت مواقفهم منه بين معارض على وجه الإطلاق من جهة، أو معارض بقيود من جهة أخرى ، وبين مؤيد مسرف موسع من جهة ومؤيد معتدل من جهة أخرى، وهذا ما نجده في تصنيف الدكتورة هند شلبي لمواقف العلماء تجاه التفسير العلمي في كتابها التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق[1]:

1 – المعارضون مطلقاً مع عدم التحيز إلى العلم.

2 – المعارضون مطلقاً مع التحيز إلى العلم.

3 – المؤيدون مطلقاً.

4 – المؤيدون المحترزون.

ويمكن تقسيم موقف أهل العلم تجاه التفسير العلمي إلى ثلاث:

أ –الرافضون للتفسير العلمي للقرآن الكريم.

ب – الموسعون في التفسير العلمي.

ت – المعتدلون في التفسير العلمي.

[1] ينظر : هند شلبي – التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق –تونس- 1406ه-1985م- ص:16.

المطلب الثاني : الرافضون للتفسير العلمي وأدلتهم :

أوّلا: الرافضون للتفسير العلمي وبعض آرائهم فيه.

ذهب بعض العلماء والباحثين إلى رفض التفسير العلمي ومنعه ، واختلفت انتقاداتهم لهذا التوجه بين متشدد ومعتدل ولكن القاسم المشترك بينهم هو الرفض له وعدم القبول به ، وهذا الجمع المعارض فيه القدماء والمحدثون ، ولهم براهينهم وأدلتهم التي يعتبرونها قاطعة في الدلالة على ما ذهبوا إليه.

وسأتناول نماذج لقدماء ومحدثين على سبيل المثال لا الحصر.

1- القدماء من أهل العلم.

1.1: أبو حيان الأندلسي (ت-745هـ).

لقد بالغ أبو حيان في معارضته لهذا اللون من التفسير حتى انه وصف بأقسى وأشد العبارات الخوض في مباحث العلوم الأخرى التي لا علاقة لها بتفسير القرآن الكريم ، ويتضح ذلك جليا عند نقده للإمام الرازي حيث عده: "من التخليط والتخبيط في أقصى الدرجة"[1].

2.1: الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت-790هـ).

يعتبر الشاطبي من أشد المعارضين القدامى للتفسير العلمي على الإطلاق ، فبعد أن ذهب إلى أمية الشريعة تبعا لأمية رسولها وأمية أهلها وهم العرب ؛ بنى قواعد على ذلك ، ومنها ما ذكره في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة": " ...ما تقرر من أُمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها -وهم العرب- ينبني عليه قواعد منها:

- أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدِّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الرياضيات، والتعاليم ، والمنطق، وعلم الحروف ، وجميع ما نَظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح..."[2].

ثم ينتصر لدعواه بعدم خوض السلف الصالح في مثل هذه الأمور وهم أعرف الناس بالقرآن وبعلومه فيقول :

---

[1] ينظر : أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط - ج : 1- ص : 141 .

[2] أبو إسحاق الشاطبي- الموافقات في أصول الشريعة- ج : 2- ص : 60 . .

"وإلى هذا فإن السلف الصالح – من الصحابة والتابعين ومن يليهم- كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أُودع فيه ، و لم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى ، سوى ما تقدم ، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك ولو كان عندهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة، إلاّ أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا "[1].

ثم يقول: " ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه أي (القرآن الكريم) على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتَقوّل على الله ورسوله فيه ..."[2].

2- العلماء والباحثون من العصر الحديث .

إن من حملوا لواء المعارضة من هذا العصر الحديث جمع لا يستهان به ومن هؤلاء الشيخ محمد شلتوت الذي عارض تفسير القرآن الكريم على مقتضى النظريات العلمية، في مقدمة تفسيره للأجزاء العشرة الأولى حيث يقول: "... فإن طائفة من المثقفين قد تلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية وأخذوا يفسرون آيات القرآن على مقتضاها ، أخذوا بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]" فطبقوا آياته على ما وقفوا عليه من قواعد العلوم الكونية ، فظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، وبذلك أفضوا إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن ، ولا تتفق مع الغرض الذي أنزله الله لأجله[4] "

[1] – أبو إسحاق الشاطبي- الموافقات في أصول الشريعة- ج : 2- ص : 62 .

[2] – المصدر نفسه – نفس الصفحة .

[3] سورة الأنعام- الآية :36. .

[4] محمود شلتوت – تفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأولى – بيروت- دار الشروق – ط.6- 1394هـ - 1974م- ص11.

ونجد في كتاب التفسير (نشأته –تدرجه- تطوره) ، معارضة صريحة لصاحبه أمين الخولي وإنكاره للتفسير العلمي[1]

وقد تابع هؤلاء في منحاهم الشيخ محمد حسين الذهبي حيث قال بعد أن رجح رأي الشاطبي رحمه الله: " .. وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم "[2].

وانتقد محمد عزة دروزة تحويل القرآن من هدفه الوعظي الدعوي المقدس إلى الجدل والبحث العلمي التجريبي حيث يقول : "...وما يؤدي هذا من صرف هذه الإشارات والتنبيهات والتعابير عن هدفها الوعظي والتدعيمي للدعوة أولا ، ومن إخراج محتويات القرآن في نطاق هذا الهدف وقدسيته إلى نطاق الجدل والبحث والنفي والإثبات في حقائق النظريات العلمية والفنية والفلكية"[3].

وبين الدكتور شوقي ضيف في كتابه سورة الرحمان وسور قصار أن القرآن يتره أن يكون كتابا تستنبط منه النظريات العلمية قائلا :" ...ومن الخطأ أن يتخذ القرآن ذريعة لإثبات نظريات علمية في الطبيعة والعلوم الكونية والفلكية .. ".[4]

وهو نفس مذهب الدكتور عبد المجيد المحتسب حيث يعلنها صراحة قائلا :" إنني أنكر نزعة التفسير العلمي للقرآن ولا أسوغ إخضاع الآيات القرآنية للعلوم الكونية والطبيعية البتة.."[5].

كما أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) هي الأخرى أبرزت موقفها الرافض للتفسير العلمي للقرآن الكريم قائلة :" أرفض أن يسخر مفسرون عصريون بمنطقنا العلمي فيزينوا لنا أن نقبل تأويلات لهم يزيفونها بقناع العلم ..."[6].

---

[1] ينظر: أمين الخولي –التفسير نشأته –تدرجه- تطوره – ص: 59.

[2] حسين الذهبي – التفسير والمفسرون – ج : 2- ص :362

[3] محمد عزة دروزة –القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه وأثره وجمعه وترتيبه – صيدا –بيروت – منشورات المكتبة العصرية- (د.ط)- (د.ت)- ص :248.

[4] شوقي ضيف- سورة الرحمن وقصار السور- عرض ودراسة – مصر – دار المعارف – ط.3– (د.ت)- ص :10.

[5] عبد المجيد المحتسب – اتجاهات التفسير في العصر الراهن- ص :314.

[6] عائشة عبد الرحمن- القرآن وقضايا الإنسان- القاهرة – دار المعارف-(د.ط)- (د.ت)- ص.351

إن المتأمل لآراء هؤلاء العلماء والباحثين وغيرهم كثير ممن حملوا لواء الرفض للتفسير العلمي للقرآن يجد تفاوتا بينهم في الاعتراض والإنكار، فمنهم من كان قاسيا في عباراته وأحكامه على الفريق الذي تبنى المنهج العلمي التجريبي في تفسير القرآن الكريم ولا ريب أن في هذا تعسف، وبعضهم كان معتدلا في رفضه وبين السبب في ذلك وهو الحفاظ على قدسية كتاب الله جل وعلا.

ثانيا: أدلة المعارضين للتفسير العلمي.

أورد الرافضون للتفسير العلمي بعض الأدلة والبراهين الدافعة للزهد في هذا اللون من التفسير ولعل أهمها وأشهرها ما يلي :

1- عدم خوض السلف الصالح في مثل هذه الأمور وهم أعرف الناس بالقرآن وبعلومه . يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : "وإلى هذا فإن السلف الصالح – من الصحابة والتابعين ومن يليهم- كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أُودع فيه، و لم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم ، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك ولو كان عندهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة، إلاّ أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا"[1].

2- من أهم الشروط المطلوبة في المفسر لكتاب الله تعالى هو التمكن من لغة الضاد التي أنزل القرآن بها حتى لا يكون القرآن الكريم حمى مباحاً لكل من حصّل علماً أو حفظا شيئاً... يقول أمين الخولي: "ومن شروط ذلك التمكن من العربية، فتفسر ألفاظ القرآن الكريم بما تدل عليه لغة العرب، دون تزيّد في تحميل الألفاظ ما لا تحتمله ، فيستنبط منها ما لا تدل عليه ولا ترشد إليه فللألفاظ معانيها المحددة ودلالاتها الخاصة التي وضعت لها وهذا يمنع التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على معانٍ وإطلاقات لم تعرف لها و لم تستعمل فيها ، أو إن كانت الألفاظ قد استعملت في شيء منها فباصطلاح حادث في الملة بعد نزول القرآن بأجيال"[2].

[1] أبو إسحاق الشاطبي- الموافقات في أصول الشريعة- ج : 2- ص : 62

[2] أمين الخولي -التفسير نشأته –تدرجه- تطوره – ص: 60.

3- ذكر سيد قطب رحمه الله أن كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى: هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ؛ ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم ؛ على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه. والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته ، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة .[1]

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهى أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان .

والثالثة : هي التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر ؛ وكل يوم جد فيها جديد"[2].

4- إن وظيفة القرآن واضحة المعالم تتمثل في هداية البشرية، وليس بكتاب تفصيل للعلوم والفنون المختلفة .قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] قال العقاد: "... لا حاجة بالقرآن إلى مثل هذا الادعاء، لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث على التفكير، ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل العقل في تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم، ما

[1] السيد قطب – في ظلال القرآن- القاهرة- دار الشروق- ط. 2- 1423ه-2003م-ج :1- ص :82.

[2] نفس المصدر –نفس الصفحة.

[3] سورة البقرة - الآية : 185

استطاع حيثما استطاع ، وكل هذا مكفول للمسلم في كتابه ، كما لم يكفل قط في كتاب من كتب الأديان "[1].

5- إن العلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ، فما يسلم به اليوم قد يكون خرافة غدا ، ولا يخفى على ذي لب خطورة ربط القرآن بهذه العلوم المتغيرة

وقد ضرب مثالا على ذلك الأستاذ عباس محمود العقاد فقال :"وجاء أناس بعدهم فأخطأوا مثل خطئهم حين فسروا السماوات السبع بالسيارات السبع في المنظومة الشمسية ، ثم ظهر أنها عشر لا سبع..."[2].

6- إن بعض الآيات القرآنية تحوي أصول العلوم الحديثة ، فمعنى هذا أن القرآن الكريم تحدى أناسا عاجزين ليس لهم حظ في العلوم بالمعنى الدقيق ، ومن ثم يكون التحدي باطلا من أساسه ، وهذا مخالف للقرآن نفسه ولا يقول به احد.[3]

7- التفسير العلمي يتجاوز بالألفاظ القرآنية حدود الاستعمال في معهود العرب وقت نزول الآيات إلى معان لم تكن معروفة لهم ذلك الوقت.[4]

8- التفسير العلمي مفاسده أكبر من مصالحه، ومعلوم أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .[5]

9- يخاطب القرآن النفوس، بينما يخاطب العلم العقول فكانت الأهداف في القرآن نفسية وجدانية مطيتها التأمل المتدين والاعتبار النفسي بينما لا تهدف العلوم إلى شيء من ذلك.[6]

ثالثا: ملاحظات على أدلة المعارضين.

إن معظم اعتراضات هذا الفريق على التفسير العلمي هي من قبيل حماية غاية القرآن الكريم الكبرى ألا وهي هداية البشرية إلى نور الحق وإخراجها من ظلمات الجهل ، و سدا لذريعة

---

[1] عباس محمود العقاد- الفلسفة القرآنية – دار نهضة مصر للطباعة والنشر- (د.ط)- (د.ت)- ص: 11 .

[2] عباس محمود العقاد- الفلسفة القرآنية –ص:10.

[3] أحمد أبو حجر- التفسير العلمي في الميزان – ص :112.

[4] عادل بن علي الشدي- التفسير العلمي للقرآن الكريم- ص :45.

[5] المصدر نفسه – ص :45

[6] أمين الخولي -التفسير نشأته –تدرجه- تطوره - ص:295.

تطرق الشك والريب إلى النفوس الضعيفة حال الصدام بين حقائق القرآن القطعية التي لا تتبدل ولا تتغير وهو مناط إعجازها ، وبين العلوم التي لا تعرف الثبات ولا القرار ، فما يصح اليوم في نظر العلم قد يصبح غداً من الخرافات ، فلو أجرينا آيات القرآن على هذه المسائل العلمية المتغيرة ، لعرضناه للتغير معها ولكان هذا ثغرة لكل حاقد وناقد.

وإلى هذا المعنى الأخير يشير الإمام محمود شلتوت رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم قائلا:"... فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقعنا القرآن وأنفسنا في الحرج".[1]

وخلاصة القول فالاعتراض على التفسير العلمي، ورده جملة وتفصيلا لا تقوى معه الحجة، إذ يكفي أن توضع له قواعد وضوابط.

[1] حمود شلتوت – تفسير القرآن الكريم- ص :13.

المطلب الثالث: المؤيدون للتفسير العلمي وأدلتهم:

يزداد المؤيدون للتفسير العلمي تباعا بتتابع السنين والأعوام، وتطور العلوم وتزايد المكتشفات العلمية الحديثة ، ويمكن القول بأنهم أكثر عددا من الرافضين لهذا اللون.

ولكن يمكن تقسيم هؤلاء إلى صنفين ، صنف غالى و أسرف وأفرط وتوسع توسعاً عجيبا في مباحث العلوم وجزئياتها من خلال علم التفسير، و صنف آخر كان أكثر اعتدالا في ذلك.

وسأتناول إن شاء الله تعالى نماذج لقدماء ومحدثين على سبيل المثال لا الحصر.

أولا: المسرفون في التفسير العلمي وبعض آرائهم فيه.

1- القدماء من أهل العلم.

1.1: الإمام الغزالي[1] (505هـ).

يشير الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين إلى إعمال الرأي في التفسير فيقول :"...بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم "[2] .

ثم يضيف رحمه الله بأن القرآن يحتوي على آلاف من العلوم :... وقال آخرون : القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم ، إذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ".[3]

وهي نفس الرؤية التي نجدها عنده في كتابه الآخر "جواهر القرآن" إذ يجعل الفصل الخامس تحت عنوان " في انشعاب سائر العلوم من القرآن ".[4]

وفي كتاب التفسير والمفسرون ، يعده حسين الذهبي أهم من عمل و روج للتفسير العلمي في الأوساط العلمية الإسلامية[1].

---

[1] هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي حجة الإسلام الفقيه الشافعي، لم يكن في آخر عصره مثله، اختلف إلى دروس العلم وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان واشتهر اسمه وسار بذكره الركبان وكانت ولادته في سنة خمسين وأربع مائة بالطابران وتوفي رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ينظر: الذهبي – سير أعلام النبلاء – ج: 1- ص: 321- صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي- الوافي بالوفيات- ج: 1- ص: 119- 120.

[2] أبو حامد محمد الغزالي- إحياء علوم الدين – ج: 1- ص: 290.

[3] نفس المصدر- ص:290.

[4] أبو حامد محمد الغزالي- جواهر القرآن- ت :محمد رشيد رضا القباني- بيروت- دار إحياء العلوم- ط.3- 1411ه- 1990م- ص :44.

2.1: الإمام الفخر الرازي [2] (606) هـ

يفصح الإمام الرازي عن نزعته العلمية في تفسيره قائلا : " إن القرآن أصل العلوم كلها، فعلم الكلام كله في القرآن ، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن ، وكذا علم أصول الفقه، وعلم النحو واللغة، وعلم الزهد في الدنيا، وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق "[3]، ولكثرة استطراداته في تفسيره وتوسعه كان حكم بعضهم على تفسيره قاسيا .

يقول صاحب تفسير المنار : " ... وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن ، هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها"[4].

وسار على هذه الخطى بعض من أعلام هذه الأمة كالبيضاوي (ت691هـ) في: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، نظام الدين النيسابوري (ت728هـ) متأثرا بالرازي في: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، و جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) في كتابه: الإتقان في علوم القرآن و الإكليل في استنباط التنزيل، ومحمود شكري الألوسي (ت1270هـ) في: روح المعاني.

2- المسرفون في التفسير العلمي المحدثون.

لعل أبرز المسرفين في هذا اللون من التفسير في العصر الحديث ، الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب المكنونات وغرائب الآيات الباهرات"لقد بالغ وأسرف في الاستطراد مع كل فن يتناوله، وحشاه بكل غريب.

يقول في مقدمة تفسيره:

---

[1] ينظر:حسين الذهبي - التفسير والمفسرون - ج : 2- ص :349.

[2] هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي فخر الدين الرازي، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، توفي على طريقة حميدة ، ومات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة، ينظر: الذهبي- سير أعلام النبلاء - ج : 2- ص :500.

(3)- فخر الدين محمد الرازي- مفاتح الغيب- بيروت - دار إحياء التراث العربي- ط.3- ج : 2- ص :116

(4)- محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم- المشهور بتفسير المنار- بيروت - دار المنار للطباعة والنشر- ط.1- 1366هـ - 1948 م- ج :1- ص :7.

"... وليكوننّ هذا الكتاب داعياً حثيثاً إلى درس العوالم العلوية والسفلية ، وليقومنّ من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات، وكيف لا ؟ وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية ".[1]

ويضيف قائلا: "لقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم: من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يشوّق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسماوات".[2]

وقد سار على دربه جمع من الباحثين المعاصرين كالأستاذ مصطفى محمود والأستاذ عبد الرزاق نوفل. وغيرهم ممن طغت عليهم النزعة العلمية.

ملاحظات عامة على منهج هذا الصنف.

إن الناظر بعين الإنصاف إلى مؤلفات هذا الصنف ليظهر له جليا تكلفا مفرطا، و تحميل الآيات مالا تحتمله وهو ما اعتمد عليه المنكرون للتفسير العلمي وإعجازه القرآني ، وتفسير الشيخ طنطاوي جوهري خير دليل على ذلك.

ثانيا :المعتدلون في القول بالتفسير العلمي.

أدى التقدم العلمي في العصر الحديث إلى ازدهار الاكتشافات العلمية والتكنولوجية، مما أثر إيجابا في نضوج التفسير العلمي وبلورة أفكاره ووضوح صورته ، ولعله الدافع إلى الإقبال عليه وكثرة التأليف فيه والزهد في الشطحات والاستطرادات التي لا فائدة منها.

وسأتناول إن شاء الله تعالى آراء لعلماء معاصرين كنماذج على سبيل المثال لا الحصر .

[1] طنطاوي جوهري – الجواهر في تفسير القرآن الكريم– مصر– مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأحفاده– ط.2–1350هـ– ج : 1– ص:3 .

[2] المصدر نفسه – نفس الصفحة.

1- الشيخ أحمد مصطفى المراغي[1] (1371هـ) :

رغم أنه من المؤيدين لهذا التفسير إلا أنه أكثر تحفظاً ، وأوسع تثبتاً بل نعى على المفسرين السابقين حشوهم لقضايا علمية في تفاسيرهم أثبت العلم في هذا العصر عدم التعويل عليها ،ويثني عليه الذهبي في كيفية تعامله مع الحقائق العلمية في وتوظيفها في الاستدلال على قدرة الله وأخذ العبرة والعظة.فمع أنه يرفض جر الآية إلى العلوم لتفسيرها أو العكس ، ولكن لا بأس في تفسيرها إذا اتفقت في ظاهرها مع حقيقة علمية ثابتة.

2- الشيخ محمد متولي شعراوي(1998 م):

يعد أحد أبرز المعتدلين في رأيه القائل بأن التفسير العلمي وإعجازه القرآني متجدد عبر العصور والأجيال إلى قيام الساعة.

يقول رحمه الله : "...كان إعجاز القرآن اللغوي هو تحدٍ للعرب فيما نبغوا فيه، ولكن التحدي لم يأتِ للعرب وحدهم ، والقرآن جاء لكل الأجناس ، وكل الألسنة ، فأين التحدي لغير العرب، ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة ، فلابد أن يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان "[2].

ويضيف رحمه الله تبارك وتعالى قائلا : "من هنا كانت هناك معجزات للقرآن وقت نزوله، وفي خلال فترة نزوله، وبعد نزوله، وهي مستمرة حتى يومنا هذا، و إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله في الأرض"[3].

وقد سار على هذا المسلك المعتدل جمع غفير من أهل العلم في العصر الحديث كالإمام محمد عبده ، السيد قطب، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، عبدالحميد بن باديس. في: مجالس

---

[1] هو أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء ، تخرج بدار العلوم سنة تسع وتسعمائة وألف للميلاد، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها ، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم وله مؤلفات منها تفسير المراغي و علوم البلاغة ، وغيرها، وتوفي بالقاهرة عام إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق (1952م)، ينظر: الزركلي- الأعلام ج : 1- ص:258.

[2] محمد متولي الشعراوي – المنتخب في تفسير القرآن الكريم – بيروت – دار العودة للطباعة والنشر- (د.ط)- 1980م- ص :16.

[3] محمد متولي الشعراوي – المنتخب في تفسير القرآن الكريم – ص :16.

التذكير من كلام الحكم الخبير ومحمد أحمد الغمراوي الذي يُعد من أكثر الباحثين اعتدالاً وروية في هذا المضمار ووضح ذلك جلياً في كتابيه " في سنن الله الكونية " و"الإسلام وعصر العلم"، وكذا حنفي أحمد في كتابه التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن وأحمد أبو حجر في كتابه التفسير العلمي للقرآن في الميزان.

أدلة المؤيدين للتفسير العلمي.

تعددت أدلة و أسباب الإقبال على التفسير العلمي للقرآن الكريم عند القائلين به من القدماء والمحدثين وأشهرها وأظهرها ما يلي:

1- الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات القرآنية.

أ- يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾[1].

رجح الإمام الرازي أن المراد بالكتاب هو القرآن دون اللوح المحفوظ، لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد ، انصرف إلى المعهود السابق ، وهو هنا القرآن الكريم [2] ، وفي هذا دلالة على أن القرآن الكريم يحوي كل شيء ، حتى العلوم.

ب - يقول تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[3]

يقول الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية : "... فالكتاب فيه اللام للعهد ، وهو القرآن ، و-كل شيء- يفيد العموم ، وهو عموم " في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع : من إصلاح النفوس ، وإكمال الأخلاق ، وتقويم المجتمع المدني ، وتبيين الحقوق ، وما تتوقف عليه

[1] سورة الأنعام – الآية :38.

[2] الرازي- مفاتيح الغيب- ج : 12- ص:228 .

[3] سورة النحل – الآية :89.

الدعوة من الاستدلال على الوحدانية ، وصدق الرسول ، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية "[1].

-ج - قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[2].

قال البقاعي [3] (885 هـ) رحمه الله تبارك وتعالى :"... مما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله متجدد ومستمر بكشف آياته في الكون ، وفى كتابه أمام الأبصار، لتقوم الحجة وتظهر المعجزة "[4].

2- الاستدلال بالأحاديث النبوية:

-أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قال: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْحُمُرِ الأهلية ـــ فَقَالَ : (**لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ**

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[5])[6]؛ فهذا نص يدل على أن كل ما دخل تحت عموم نص قرآني، يعتبر قد نص عليه القرآن، ومن ذلك التفسير العلمي ، فصدقة الحمر الأهلية لم تذكرها الآية وإنما دلت عليها عن طريق الشمول والعموم[7].

---

[1] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير - ج :14- ص :253.

[2] سورة فصلت- الآية :52.

[3] هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مؤرخ أديب أصله من البقاع في سورية، ومن تصانيفه نظم الدرر في تناسب الآي والسور يتعلق بعلم التفسير، توفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة بدمشق ينظر: محمد بن علي بن أحمد الداوودي شمس الدين – طبقات المفسرين - بيروت- دار الكتب العلمية-ط.1-1403ه-1983م- ج :1- ص :347.

[4] علي بن أبي بكر البقاعي- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- القاهرة- دار الكتاب الإسلامي- (د.ط)- (د.ت)- ج :14- ص :229.

[5] سورة الزلزلة – الآيتان :7و8.

[6] رواه البخاري في كتاب المساقاة- باب شرب الناس والدواب من الأنهار – رقم : 2371- ص : 571.

[7] ينظر : عادل بن علي الشدي- التفسير العلمي للقرآن الكريم- ص :69.

-ب- عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (**إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة**)[1].

في عموم الحديث إشارة إلى شمولية القرآن الكريم ، وفي هذه الشمولية يدخل الإخبار عن العلوم الحديثة.

ثالثاً – الاستدلال الآثار:

ذكر حسين الذهبي بعض الآثار التي استدل بها حاملوا لواء التفسير العلمي منها :

1- عن ابن مسعود رَضِي اللَّه عَنْه أنه قال : (من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين)[2].

2 - عن ابن مسعود رَضِي الله تبارك وتعالى عَنْه أنه قال: (أنزل في القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء ، لكن علمنا يقصر عما بين لتا في القرآن)[3].

رابعا– الاستدلال بالمعقول :

1- إن الله سبحانه استدل في كتابه على العلم والقدرة والحكمة بظواهر كونية ك السموات والأرض

و أحوال الضياء والظلام والشمس والقمر والنجوم ولو لم يكن البحث عنها مشروعا، والتأمل فيها جائزاً لما كررت هذه الأمور في كثير من السور[4].

2- لا ينبغي لمفسر العلم في عصر العلم أن يقف بمعزل عن العلم أو يقصر مسائله في القرآن على مفهوم صدر الإسلام حتى لا يتيح فرصة لأعداء الدين أن يتهموا القرآن بأنه يقف حائلا دون العلم[1].

---

[1] أخرجه أبو الشيخ الأصفهاني في كتاب العظمة- ت : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري – الرياض – دار العاصمة – ط.1- 1408 ه- ج :2- ص :534. وفي سنده أبو أمية بن يعلى ضعفه غير واحد. ينظر الذهبي- ميزان الاعتدال- ت : علي محمد عوض- دار الكتب العلمية – ط.1- 1416 ه-1995م- ج :7- ص :67.

[2] نقلا عن حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- ج :2 – ص :351.

[3] نقلا عن المصدر نفسه- ص :351.

[4] ينظر : عادل بن علي الشدي- التفسير العلمي للقرآن الكريم- ص :68.

3- إن القرآن لم يترل للعرب وحدهم ، وإنما لكلِّ العصورِ والأجيالِ ، فلابد أن يجد فيه أهل كلِّ عصرٍ أدلة على صدق الوحي والنبوة وإدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم .

4- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ، وتعرّفهم عليه من هذا الطريق ببيان إعجاز القرآن العلمي لهم وإقامة الحجة عليهم بذلك[2].

5- امتلاء النفوس إيمانًا بعظمة الله جل وعلا وقدرته وعظيم سلطانه بعد الوقوف على بعض أسرار هذا الكون التي كشفها العلم وأشار إليها القرآن الكريم[3].

6- قد يكون العلم الحديث ضروريا للفهم الدقيق لمعاني بعض الآيات، فربما صار التفسير العلمي من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى[4].

[1] ينظر : أحمد عمر أبو حجر- التفسير العلمي للقرآن في الميزان- ص :109.

[2] ينظر : محمد بن عبد الرحمان الشايع- التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين- مجلة الأمام محمد بن سعود- 1411ه- 1991م- العدد04- ص :40.

[3] ينظر : عادل بن علي الشدي- التفسير العلمي للقرآن الكريم- ص :70.

[4] ينظر :المصدر نفسه- ص :70.

المطلب الرابع: مناقشة آراء الفريقين.

بعد هذه الرحلة التي تم فيها التعرف على وجهة نظر كل فريق إلى التفسير العلمي ، كل حسب فلسفته وزاوية نظره ؛ ناسب أن تناقش هذه الآراء والأدلة.

1- مناقشة أبرز آراء وأدلة المعارضين للتفسير العلمي:

تعلق الرافضون للتفسير العلمي بجملة من الأدلة والبراهين يمكن أن يجاب عليها بما يلي:

- إن كون القرآن كتاب هداية لا يمنع أن ترد فيه إشارات علمية يوضحها التع مق في العلم الحديث ، فقد تحدث القرآن عن السماء ، والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغيرها وما كان هذا الحديث المستفيض منافياً لكون القرآن كتاب هداية ،بل كان حديثه هذا أحد الطرق التي سلكها لهداية الناس.

يقول الدكتور أبو حجر : "...وتفسير آيات الله الكونية بحقائق العلم لا يحول دون الهداية بل يؤكدها ويدعو إليها الجاحدين "[1].

- قول المعارضين بأن ما يسمى (حقائق العلم) ليس سوى فروض ونظريات يعتقد رجال العلوم فترة من الزمان صحتها، ثم لا يلبثو ا أن يثبتوا بأنفسهم بطلانها، ولذلك لا يجوز الرجوع إليها عند دراسة الآيات لا يستقيم؛ لأن الذي يتغير في العلم ليس قواعده، أو أسسه، بل فروضه التي لازالت تخضع للدراسة والتمحيص.
- قول المعارضين أن القرآن نزل في أمة أمية لا تعرف التنظير العلمي يجاب عليه أن القرآن لم يترل للعرب وحدهم، وإنما لكلِّ العصورِ والأجيالِ، فلابد أن يجد فيه أهل كلِّ عصرٍ أدلة على صدق الوحي والنبوة.[2]
- قولهم أن هذا اللون من التفسير يتضمن التأويل المستمر، والتكلف، وإن التأويل بلا داع مرفوض، يجاب عليه أن القائلين بالتفسير العلمي للقرآن اشترطوا شروطاً من بينها أن لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة التي تمنع من إرادة الحقيقة.

[1] أحمد عمر أبو حجر- التفسير العلمي للقرآن في الميزان- ص :114 .

[2] ينظر : تفسير التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور – ج:1 - ص:157.

- ما ساقه المعترضون من أدلة تؤكد وقوع الزلل لدى أكثر الخائضين في التفسير العلمي، وأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة لا تثبت به الحجة عند النقد العلمي، فوقوع الزلل ليس مبررا للمنع يل يكفي أن توضع القيود الحائلة دون الوقوع في الخطأ[1].

2- مناقشة أبرز آراء وأدلة المؤيدين للتفسير العلمي:

بالنظر الفاحص والدقيق فحاملوا لواء التفسير العلمي أقوى حجة، وأسطع برهانا، وأكثر عددا؛ غير أنه يجب التنبيه على بعض المزالق التي وقع فيها بعض المتحمسين وأغلبهم من المعاصرين حيث تعلقوا بالغث والسمين من النظريات التي لا زالت تحت الاختبار وربطوها بكتاب الله زاعمين أنها مناط الأعجاز؛ والتي كان بعضها من أسباب طعن الفريق الأول في هذا المنهج ورده؛ بل وتجد بعضهم يحشي مؤلفاته بآراء لا تثبت نقلا، ولا تستساغ عقلا ومن ذلك:

- جواز إعمال الرأي في التفسير والاستناد إلى الآيات التي تحث على التفكر والتدبر دفع بعض المتحمسين إلى تفسير بعض الآيات تفسيرا علميا جافا عن روح القرآن، ولا يستند إلى دليل معقول ومن ذلك ترجيح الشيخ محمد عبده ومعاصره عبد الرحمن الكواكبي أن الطير الأبابيل التي ورد ذكرها في سورة الفيل ما هي إلا ذبابة أو بعوضة تحمل ميكروبات ، وما الحجارة التي ذكرت في الآيات إلا الطين المسموم اليابس التي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات[2].

ولا يخفى على ذي لب أن مثل هذه التفسيرات قد جاوزت الحقيقة، ثم كيف يكون التفسير العلمي بهذه الكيفية طريقا إلى الدعوة إلى الله ،بل ربما كان سبيلا للتشكيك في دين الله من أعدائه وخصومه.

- القائلون بأنه لا ينبغي لمفسر العلم في عصر العلم أن يقف بمعزل عن العلم أو يقصر مسائله في القرآن على مفهوم صدر الإسلام حتى لا يتيح فرصة لأعداء الدين أن يتهموا القرآن بأنه يقف حائلا دون العلم فتح الباب على مصراعيه للدخلاء على التفسير حتى انك لتجد من يلوي عنق الآيات لكي تتوافق مع ما يريد أن يثبته كمن حمل الآية (يَخْرَجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ

[1] ينظر : عادل بن علي الشدي- التفسير العلمي للقرآن الكريم- ص 71.

[2] ينظر : العقاد- الإسلام دعوة عالمية- بيروت- دار الكتاب اللبناني- ط.3- 1986م- ص :209.

﴿٢٠﴾[1] على أن المرجان موجود في البحر الأحمر ، واللؤلؤ موجود في البحر المتوسط ولا شك أن التسرع بتفسير آيات القرآن بمثل هذه الفرضيات والتخمينات الفردية تحميل لها غير ما تحتمل، وتجاوز مرفوض في حق كلام الله العليم الخبير.

- بعض من المتحمسين للتفسير العلمي كانت دراسته م ، وجل اهتمامه م علوم الشريعة واللغة العربية ، ثم مالت إلى النظر في العلوم التطبيقية الحديثة ، وأخذت منها بطرف يسير ، فلم تتعمق فيها تعمقاً يؤهلها إلى معرفة مناحي ما تريد أن تربطه بالقرآن الكريم ، فهذا القسم لا يخفى خطر استنتاجاته واستنباطاته على كتاب الله ، و فئة درست بتعمق العلوم التطبيقية ، لكنها كانت قليلة الاتصال بالقرآن الكريم ، ثم بدأت اهتماماتهم بتفسير القرآن وهذا القسم كذلك لا يخفى خطره على كتاب الله.

[1] سورة الرحمان- الآية : 20.

- خلاصـــة.

بعد عرض أدلة الفريقين ومناقشتها فالذي تطمئن إليه النفس والله اعلم أن:

1- الذين رفضوا الاستفادة من حقائق العلم في إيضاح حقائق القرآن قد جانبوا الصواب إلى حد بعيد.

2- المتحمسون الذين جروا وراء الفرضيات والنظريات العلمية بصحيحها وسقيمها، بغثها وسمينها دون تمحيص وتدقيق، وأهملوا قواعد التفسير، كذلك مجانبون للصواب إلى حد بعيد.

3- المذهب السليم مذهب الوسط فلا إفراط ولا تفريط؛ وكما بقال الحسنة بين سيئتين فلا نغفل الاستعانة بحقائق العلم في زيادة توضيح المعاني القرآنية وبالمقابل لا تدفعنا الحماسة لنصرة الحق والدفاع عن دين الله لتبني نظريات وفرضيات علمية لا تزال تحت الاختبار والتمحيص ولي عنق الآيات وتحميلها ما لا تحتمله ، والأخطر من ذلك أن ندعي أن هذا إعجاز قرآني.

وما أجمل ما دلّل به الدكتور أحمد عمر أبو حجر على موقفه[1] حين أورد كلمة قيمة للشيخ المراغي (1952م) ، حين تقديمه لكتاب الإسلام والطب الحديث للطبيب عبد العزيز إسماعيل يقول فيها : "يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية كذلك، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها به".[2]

4- لا بد من وضع ضوابط وقيود للتفسير العلمي وللقائلين به، سدا لذريعة دخول الأدعياء، والقول على الله بغير علم.

5- أهم ملاحظة يجب التركيز عليها وهي أنه يجب التفريق بين مصطلحي التفسير العلمي والإعجاز العلمي، إذ نجد التباسا واضحا عند البعض في التفريق بينهما ؛ سواء كان ذلك من الذين يقولون برد التفسير العلمي أو ممن يحملون لواءه، هذا الالتباس والله أعلم أهم سبب في الخلاف بين أهل العلم في جواز الأخذ بالتفسير العلمي أو منعه.

---

[1] ينظر : أحمد عمر أبو حجر- التفسير العلمي للقرآن في الميزان- ص :114.

[2] ينظر : عبد العزيز إسماعيل- الإسلام والطب الحديث- تقديم للشيخ المراغي- الشركة العربية للطباعة والنشر- ط2- 1959م-ص :7.

المبحث الثاني: التفسير العلمي وعلاقته بالإعجاز

المطلب الأول: إعجاز القرآن.

أولا- الإعجاز لغة واصطلاحا.

ا – الإعجاز لغة:

يدور معنى الإعجاز في كلام أهل اللغة حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر وكذلك القعود عما يجب فعله.

قال ابن منظور (711هـ): "العجز: نقيض الحزم ، والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها : مفعلة من العجز: عدم القدرة... "[1].

وأضاف قائلا: " ... وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به ، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق ، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك . وقال الليث: "أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه ".[2]

وقال صاحب المصباح المنير(766هـ) : " ... وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز".[3]

إذا كان هذا معنى الإعجاز، فبإضافته إلى القرآن يكون المراد بمصطلح: (إعجاز القرآن) أي: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به ، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله ، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي.

---

[1] ابن منظور- لسان العرب- مادة (عجز)- ج 11 : - ص : 63.

[2] المصدر نفسه- مادة (عجز)- ص : 65.

[3] أحمد بن محمد بن علي الفيومي- المصباح المنير- بيروت- مكتبة لبنان- 1987م- ص :149.

ب- الإعجاز في الاصطلاح:

لقد تنوعت تعاريف العلماء للإعجاز ومن أمثلة ذلك :

عرفه صاحب كتاب التعريفات بقوله : " أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق ".[1]

وعرفه مصطفى صادق الرافعي بقوله : "وإنما الإعجاز شيئان:

- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.
- ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه ، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت". [2]

ثانيا – تعريف إعجاز القرآن.

تكاد تتمحور تعاريف أهل العلم للإعجاز القرآني حول إثبات صدق النبوة ، بإثبات عجز الإنس والجن عن التحدي القرآني ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

عرفه الزرقاني فقال: "إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به".[3]

وقال مناع القطان: "والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم"[4]

وقال الحمصي: "إعجاز القرآن: فهو كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحدٌ معارضته برغم تصدي الناس لها".[5]

---

[1] علي بن محمد الجرجاني- التعريفات- مصر- المطبعة الخيرية- ط.1-1306هـ- ص :14.

[2] مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- بيروت- دار الكتاب العربي- ط.9- 1393هـ- 1973م- ص:139.

[3] الزرقاني- مناهل العرفان- ج :2- ص :331.

[4] مناع القطان- مباحث في علوم القرآن - ص:265.

[5] نعيم الحمصي- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر- بيروت- مؤسسة الرسالة- ط2- 1400هـ- 1980م- ص :6.

بعد عرض أقوال بعض أهل العلم في بيان تعريف إعجاز القرآن ؛ يمكن القول أنه إثبات عجز الإنس والجن ، فصحاء وعلماء وعامة عن التحدي القرآني سواء في أسلوبه البياني أو أخباره الغيبية أو أي من وجوه إعجازه الأخرى ؛ والغاية منه إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة والنبوة.

المطلب الثاني: المعجزة وشروط تحقق الإعجاز.

أ- تعريف المعجزة لغة.

تأتي المعجزة في اللغة دالة على قصور الخصم عند التحدي.

قال الفيروز آبادي: "المعجزة اسم فاعل من (الإعجاز)، وهي مفرد (المعجزات) وهي: ما أَعجزت الخصمَ، أو: أُعجز بها الخصمُ عند التحدي، والهاء للمبالغة، وسميت بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلها ، وهي خاصة بالأنبياء، تقول عجز فلان عن قول أو فعل معين، إذا حاوله و لم يستطعه، أو لم يحاوله لاعتقاده عدم استطاعته له.[1]

وعليه فسميت المعجزة بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلها.

ب- المعجزة اصطلاحاً.

تعددت تعريفات العلماء للمعجزة، منها المختصر، ومنها ما هو أطول منه، غير أنها تصب في مصب واحد، وسأذكر بعضا منها:

قال السيوطي(911هـ): "المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة". [2]

وقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني: "المعجزة : هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أوهي أمرٌ خارق للعادة ، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقهُ الله تعالى على يد مدعى النبوة عند دعواه إياها شاهداً على صدقه".[3]

ويلاحظ على تعريف الشيخ لفظ "يخلق" وهو يصدق على المعجزات الملموسة كناقة صالح أو عصا موسى وغيرهما، أما القرآن فلا يجوز إطلاق ذلك عليه.

وعرفها محمود محمد شاكر بقوله: "هي الآية الكاشفة عن عجز جميع الخلائق، المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها، المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السماوات والأرض". [4]

---

[1] الفيروز آبادي – القاموس المحيط - ج 2: - ص: 180.

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج 4: - ص: 05.

[3] الزرقاني- مناهل العرفان- ج 1: - ص : 72.

[4] حمود محمد شاكر- مداخل إعجاز القرآن- جدة- دار المدني- ط.1- 1423ه- 2002م- ص: 15.

ولعل تعريف الدكتور أحمد محمد أبو الغيط أشمل للتعريفات السابقة وأدقها :" والمعجزة عند علماء العقيدة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده ، تصديقاً له في دعواه ، مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة "[1].

وخلاصة القول فمعجزة القرآن: هي أمر خارق للعادة، أكرم الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تصديقاً له في نبوته ورسالته ، مقروناً بتحدي الخصوم بأن يأتوا بمثل سورة منه ، وقد عجزوا ولا يزالون.

ج- شروط تحقق الإعجاز: ذكر الشيخ محمد علي الصابوني أن الإعجاز لا يتحقق إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط و هي:[2]

أولا - التحدي وطلب المنازلة والمعارضة.

ثانيا - وجود المقتضى للمعارضة والمنازلة.

ثالثا - عدم وجود مانع من المعارضة والمنازلة.

[1] حمد محمد أبو الغيط – العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة- دار البحوث العلمية-(د.ط)- 1403 ه- 1983 م- ص :183.

[2] ينظر : محمد علي الصابوني- التبيان في علوم القرآن- عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- ط.1- 1985م – ص :92.

المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

المقصود بالعلم الذي ينسب إليه مصطلح " الإعجاز العلمي للقرآن الكريم " هو العلوم الكونية التجريبية الباحثة في ظواهر الكون والحياة .

وقبل بيان مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؛ تجدر الإشارة إلى مسألتين مهمتين وذكر الفرق بينهما ، لصلتهما الوثيقة بالقول بالإعجاز العلمي من عدمه.

1- النظرية العلمية والحقيقة العلمية والفرق بينهما.

من المسائل العلمية المهمة، والتي لها علاقة مباشرة بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي: النظرية العلمية والحقيقة العلمية.

أولا – النظرية العلمية

أ – تعريفها:"هي مجموعة فروض قابلة للتعديل والتطور وتقبل إضافة عناصر تفقدها".[1]

ب– تطبيقاتها: "يعمل بها في مجال التنبؤ بما يجد من ظواهر وعلاقات؛ أو تفسير ظاهرة علمية سبق أن أثيرت حولها شكوك في التنظير".[2]

النظريات يعمم اللاحق منها السابق ولا يعارضه، بل في تعاقب النظريات ازدياد تعميمها واتساع نطاق شمولها.

ثانيا– الحقيقة العلمية.

أ – تعريفها: "هي الوصف الصادق الأمين لأي ظاهرة أو حتى لأي جانب منها.[3]

إذن فالحقيقة العلمية هي نهاية ما توصل إليه العلم من قطعيات غير قابلة للطعن والاعتراض.

[1] عبد السلام حمدان اللوح- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم- غزة- دار الآفاق- ط2- 1423ه-2002م- ص: 109.

[2] المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[3] المصدر نفسه – ص : 111.

ثالثا – الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية.

أهم ما يميز الحقيقة العلمية عن النظرية العلمية ما يلي:

- الحقيقة العلمية تثبت بالتجربة والدليل والملاحظة بخلاف النظرية العلمية فهي عبارة عن تفسيرات علمية لظاهرة ما.
- الحقيقة العلمية قطعية في نتائجها،والنظرية العلمية قابلة للتعديل و التغيير والتطور.

2– تعريف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

اختلف أهل العلم في بيان مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن ، وذكروا أقوالا مختلفة:

عرفه ا لدكتور غانم قدوري الحمد فقال :" الإعجاز العلمي يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب، أو علمي النبات والحيوان ونحوهما" [1] والحقيقة أن المتمعن لهذا التعريف يجده متقاربا مع تعريف التفسير العلمي، بل يكاد لا يجد فرقا بينهما.

وعرفه صلاح عبد الفتاح الخالدي بقوله : "أن نعتبر تلك المضامين والأبعاد والإشارات والحقائق العلمية لتلك الآيات، وجها من وجوه الإعجاز القرآني ونسميه الإعجاز العلمي ونضيفه إلى وجوه الإعجاز الأخرى".[2]

وعرفه الدكتور زغلول النجار بقوله : "هو سبق الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم يتمكن العلم الكسبي من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن".[3]

إذن فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً مع عدم إمكانية إدراكها وفهمها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] غانم الحمد القدري– محاضرات في علوم القرآن– الأردن– دار عمار للنشر– ط.1– 1423ه–2003 م– ص :249.

[2] صلاح عبد الفتاح الخالدي– البيان في إعجاز القرآن– دار عمار للنشر والتوزيع– ط.3– 1992م– ص :267.

[3] زغلول النجار– حقائق علمية في القرآن الكريم– بيروت– دار المعرفة– ط.4– 1429ه– 2008 م– ص:8.

المطلب الرابع: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

تفاوتت آراء العلماء و الباحثين المعاصرين في التمييز بين "التفسير العلمي"و"الإعجاز العلمي"، انطلاقا من نظرة كل باحث لمفهوم المصطلحين، فمنهم من جعل المراد منهما واحدا كالدكتور غانم قدوري الحمد، ويتضح ذلك جليا في تعريفه للأعجاز العلمي [1]، والدكتور أحمد عمر أبو حجر في كتابه التفسير العلمي في الميزان ، إذ جعل غاية التفسير العلمي تحقيق الإعجاز القرآني؛ لإثبات ربانية القرآن الكريم.[2]

يقول الدكتور عادل بن علي الشدي : "من أكثر الأسباب التي أدت إلى تباين المواقف حول التفسير العلمي قبولاً أو ردًّا الخلط بينه وبين الإعجاز العلمي، حتى في أوساط بعض المتخصصين في هذا المجال، بل إن منهم من يراهما شيئًا واحدًا، بل إن بعض الباحثين يتحفظ على مصطلح الإعجاز العلمي، ويرى استبداله منعًا للخلط واللبس بمصطلح: دلائل صدق القرآن".[3]

والذي يظهر والله أعلم أن من جعل التفسير العلمي والإعجاز العلمي بمنزلة واحدة، أومن تحفظ على الإعجاز على طرفي نقيض، والحق أن بينهما خصوص وعموم.

يقول عادل بن علي الشدي : "... فكل إعجاز علمي أنما يُعرف من خلال التفسير العلمي وليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازًا علميًّا تقوم به الحجة على غير المسلمين".[4]

ويمكن توضيح أهم هذه الفوارق فيما يلي:

- التفسير العلمي يعني محاولة فهم دلالة الآيات الكونية في كتاب الله في إطار المعرفة العلمية المتاحة للعصر الذي نعيشه أو يعيشه غيرنا ، أما الإعجاز العلمي في القرآن فهو إخبار القرآن الكريم بحقائق علمية سواءً أثبتها العلم التجريبي أو لم يتوصل إليها بعد.
- استخدام مكتشفات العلم التجريبي في بيان معاني الآيات القرآنية هو التفسير العلمي، أما الإعجاز العلمي فهو استخدام هذا التفسير العلمي في إثبات صدق النبوة ، فكأن التفسير العلمي وسيلة لغاية: هي الإعجاز العلمي.

---

[1] ينظر : غانم الحمد القدري- محاضرات في علوم القرآن- ص :249 .

[2] ينظر : أحمد عمر أبو حجر- التفسير العلمي للقرآن في الميزان- ص66 .

[3] عادل بن علي الشدي – التفسير العلمي للقرآن- ص :17.

[4] ينظر : نفس المصدر- ص :18.

- الإعجاز العلمي يعتمد علي الحقائق العلمية التي ثبت صحتها وبصورة قطعية بحيث لا يمكن الرجعة عنها، بخلاف التفسير العلمي فهو ينطوي علي جوانب اجتهادية فالمفسر إذا أصاب فيه فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد ، و لا يحسب على دلالة القرآن ولا يطال شيئاً من قدسيته.

الفصل الثاني:

المعاني والإشارات القرآنية المتعلقة باليابسة والماء

- **المبحث الأول: تفسير الآيات المتعلقة بالأرض**
  - ✓ المسألة الأولى: نقصان الأرض من أطرافها
  - ✓ المسألة الثانية: شكل الأرض
- **المبحث الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بالجبال**
  - ✓ المسألة الأولى: شكل الجبال
  - ✓ المسألة الثانية: وصف القرآن للجبال بالرواسي
- **المبحث الثالث: تفسير الآيات المتعلقة بالبحار**
  - ✓ المسألة الأولى: ظلمات البحر
  - ✓ المسألة الثانية: البرزخ بين البحرين

انطوى القرآن الكريم في سبق معجز على العديد من الآيات التي تشير إلى بعض الظواهر الكونية التي أبدعها الخالق سبحانه وتعالى ، والسنن الإلهية التي تحكمها ، وما يدفع ذلك كله إلى تفهم للحكم، واستخلاص للعبر، وزيادة إيمان العبد وتعلق قلبه بالفاطر.

إن الكون صنع الله الذي أتقن كل شيء، والقرآن كلام الله المعجز بألفاظه ومعانيه؛ ويستحيل أن يتعارض كلام الخالق مع النواميس والحقائق التي قد أودعها في خلقه ، إذا اتبع الناظر في كليهما المنهج السليم، والمسلك الموضوعي الأمين.

وقد أحصى الدارسون من هذه الإشارات الكونية في كتاب الله ما يقدر بحوالي الألف آية صريحة[1]، بالإضافة إلي آيات أخر ى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة ، صيغت صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى جديدا من المعاني المختزنة في كل آية من تلك الآيات الكونية، وبدوام اتساع دائرة التراكمات المعرفية الإنسانية، جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر؛ يتأكد تحقق الوعد الإلهي: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.[2]

ومن الظواهر الكونية التي أشارت إليها آيات الذكر الحكيم، والتي ستكون محل الدراسة في هذا الفصل إن شاء الله، ما يتعلق باليابسة ككل (الأرض والجبال)، أما الأرض فقد جاء ذكرها في أربعمائة وإحدى وستين آية كريمة [3]، منها ما يشير إلى الأرض ككل، ومنها ما يشير إلى سطحها الخارجي الذي نحيا عليه أي إلى غلافها الصخري، وهذه الآيات تضم عددا مدهشا من

[1] ينظر: زغلول النجار- الأرض في القرآن الكريم – لبنان- بيروت- دار المعرفة – ط.2- 1427هـ-2006م- ص:81.

[2] سورة: فصلت- الآية: 53.

[3] ينظر: المصدر السابق- نفس الصفحة.

حقائق علوم الأرض ؛ وأما الجبال فقد ورد ذكرها بصيغة المفرد والجمع في القرآن الكريم تسعا وثلاثين مرة، منها "ست مرات في صيغة المفرد وثلاثا وثلاثين مرة في صيغة الجمع".[1]

كذلك من الظواهر الكونية التي أشارت إليها آيات الكتاب المبين؛ ما يتعلق بالمحيطات والأنهار، وقد ورد لفظ "بحر" في القرآن الكريم بصيغة المفرد اثنان وثلاثون مرة [2]؛ ناهيك عن المثنى والجمع لهذه المفردة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذه الظواهر الباهرات جاءت في مقام الاستدلال على توحد المنشئ والخالق لها سبحانه وتعالى.

[1] ينظر : محمد فؤاد عبد الباقي – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – القاهرة– مطبعة دار الكتب المصرية – (د.ط)– 1364هـ – ص:136.

[2] ينظر : المصدر نفسه– ص:114.

المبحث الأول: الإشارات والمعاني القرآنية المتعلقة بالأرض

المسألة الأولى: نقصان الأرض من أطرافها

الآيات التي ورد فيها ذلك:

ذكر الله تعالى في سورة الرعد والأنبياء آيتين متشابهتين في أغلب ألفاظهما.

قال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ اَنَّا نَاتِے اِلاَرْضَ نَنقُصُهَا مِنَ اَطْرَافِهَاۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ اْلْحِسَابِ ﴿٤٢﴾﴾[1].

وقال كذلك: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ اْلْعُمُرُۗ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَاتِے اِلاَرْضَ نَنقُصُهَا مِنَ اَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ اْلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

المطلب الأول: التفسير اللغوي لألفاظ الآية.

أ. لفظ الرؤية في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ﴾.

الرؤية: بالضم إدراك المرئي، ويكون كالآتي:

الأول: النظر بالعين التي هي الحاسة.

الثاني: بالوهم والتخيل نحو: أرى أن طائرا محلق.

الثالث: بالتفكر نحو: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ اْلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ اْلْيَوْمَ مِنَ اْلنَّاسِ وَإِنِّے جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ اِلْفِئَتَـٰنِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّے بَرِےٓءٌ مِّنكُمْۤ إِنِّےٓ أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّےٓ أَخَافُ اْللَّهَۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ اْلْعِقَابِ﴾.[3]

الرابع: بالقلب: أي بالعقل وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ اْلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.[4]

---

[1] سورة الرعد- الآية: 42.

[2] سورة الأنبياء- الآية: 44.

[3] سورة الأنفال – الآية: 48.

[4] سورة الأنفال – الآية: 48.

ورد في لسان العرب أن: "الرُّؤيَة بالعَيْن تَتَعدَّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العِلْم تتعدَّى إلى مفعولين يقال رأَيت زيداً عالماً"[1].

ب- لفظ النقص في قوله تعالى: ﴿ نَنفُصُهَا﴾.

وجاء في معجم العين: "النقص: الخُسْرانُ في الحَظِّ، والنُّقصان مصدرٌ، ويكون قدْرَ الشيءِ الذاهب من المنقُوصِ اسمٌ له، ونَقَصَ الشيء نقصاً ونُقصاناً مصدر، ونُقصانه كذا وكذا وهذا قَدْرُ الذي ذَهَبَ، ونَقَصَهُ غيره يتعدى ويلزم"[2].

ويضيف صاحب المعجم قائلا: "... والنَّقْصُ مصدر المُتعدي، والنُّقْصَانُ مصدر اللازم، والمُتعدي يتعدى إلى مفعولين تقول نقصه حقَّه [3]، قال الله تعالى: ﴿ إِلاَّ ٱلذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾[4].

ج- لفظ الطرف في قوله تعالى: ﴿ أَطْرَافِهَا ﴾.

جاء في لسان العرب: "والطَرّف بالتحريك الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء جمع أطراف... وطرف كل شيء منتهاه وطرف القوم رئيسهم".[5]

وورد في مفردات غريب القرآن: "طرف الشيء جانبه ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرهما".[6]

وعليه فطرف الشيء في اللغة منتهاه وأطراف الأرض أي نواحيها.

---

[1] لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور – ج: 14 – ص:291.

[2] ينظر: الخليل- العين – مادة (نقص) – ج: 05- ص: 65.

[3] ينظر: المصدر السابق – نفس الصفحة.

[4] سورة التوبة – الآية: 4.

[5] لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور – مادة (طرف) – ج: 09- ص: 218.

[6] الراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن – (طرف) – ص: 451.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين من أهل التفسير

1- تفسير الآيتين عند القدامى:

يمكن أن يميز في تفسير القدامى من أهل العلم رأيين بينين:

الرأي الأول: توبيخ وتقريع للكافرين الذين يرون توسع رقعة أرض الإسلام على حساب أرض الكافرين، وانحسار أرضهم وتناقصها بالفتوحات ثم لا يعتبرون ولا يتعظون.

الرأي الثاني: نقصان الأنفس والثمرات، ومنه ذهاب العلماء أو موتهم وخراب الأرض من بعدهم.

يقول الإمام ابن جرير الطبري (310هـ) رحمه الله: "...أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله سائلوا محمد صلى الله عليه وسلم الآيات ، المستعجلون بالعذاب أنا نأتي الأرض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها وغلبتنا لهم وإجلائهم عنها وقتلهم بالسيوف ، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ، ويحذروا منا أن نترل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف".[1]

وقال القرطبي[2] (671هـ) رحمه الله في تفسيره: "المراد به هلاك من هلك من الأمم قبل قريش وهلاك أرضهم بعدهم والمعنى: أو لم تر قريش هلاك من قبلهم وخراب أرضهم بعدهم؟! أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ذلك".[3]

[1] - ينظر: ابن جرير الطبري- جامع البيان- تفسير الطبري- ج : 03- ص: 120.

[2] - هو محمد بن أحمد القرطبي فقيه ومفسر مالكي أندلسي. توفي سنة: 671هـ وتاريخ ولادته غير معروف. أهم مؤلفاته: "الجامع لأحكام القرآن " المعروف بتفسير القرطبي. وكتاب "التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة. "ينظر: عادل نويهض- معجم المفسرين- ص:479.

[3] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج : 03- ص: 120.

ونقل ابن كثير[1] (774هـ) رحمه الله في تفسيره روايات عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: " ... قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض.

وقال في رواية: أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية.

وقال في رواية أخرى: خرابها بموت علمائها وأهل الخير منها ".[2]

كما نقل أقوالا عن التابعين فقال: " ... قال مجاهد وعكرمة: أي: خرابها ، وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين.

وقال العوفي: نقصان أهلها وبركتها.

وقال مجاهد في رواية: نقصان الأنفس والثمرات "[3].

وذكر صاحبا تفسير الجلالين[4]: "﴿ أَوَ لَمْ يَرَوَاْ ﴾. أي: أهل مكة وغيرها ﴿أَنَّا نَاتِي ٱلأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ، ﴿نَنقُصُهَا مِنَ أَطْرَافِهَاۗ﴾ بالفتح علي النبي صلي الله عليه وسلم.[1]

---

[1] – هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي، فقيه مفسر مؤرخ، ولد سنة سبعمائة للهجرة، وتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ينظر : الذهبي – معجم المحدثين- ص :41، وكذلك جمال الدين يوسف بن عبد الله – المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي – ج:01- ص:177.

[2] – ينظر: ابن كثير الدمشقي- تفسير القرآن العظيم- ج: 02- ص: 658.

[3] – ينظر: نفس المصدر – نفس الصفحة.

[4] – هم : الإمام جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي ولد بمصر سنة 791هـ وبرع في كثير من الفنون فقها و أصولا ونحوا ومنطقا ، ألف العديد من الكتب مثل جمع الجوامع في الأصول وشرح المنهاج في الفقه وكتاب الجهاد وغيرها توفى سنة 864هـ ، والحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، المسند المحقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، وِلُد في رجب سنة 849 هـ ،ختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، وحفظ كثيراً من المتون، وأخذ عن شيوخ كثيرين، عَدَّ الداودي مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على الخمسمائة مُؤلَّف، وتوفى في سَحَر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 911 هـ (إحدى عشرة وتسعمائة) في مترلة بروضة المقياس .ينظر: عادل نويهض- معجم المفسرين- ص: 264.

2- تفسير الآيتين عند المحدثين :

تفسير المحدثين للآيتين مشابه لتفسير القدامى، فقد ذكر السيد قطب رحمه الله[2] (1385م): "أن يد الله القوية تأتي الأمم الغنية حين تبطر وتكفر وتفسد فتنقص من قوتها وقدرها وثرائها وتحصرها في رقعة ضيقة من الأرض بعد أن كانت ذات امتداد وسلطان"[3].

والمعنى الذي ذكره السيد قطب لهذه الآية مشابه لما نقل عن الشعراوي رحمه الله حيث يقول ما مفاده أن الخطاب : "... مُوجَّه إلى قريش، فقد كانت لهم السيادة ومركزها مكة، ثم من بعد ذلك وجدوا أن الموقف يتغيَّر في كُلِّ يوم عن اليوم الآخَرِ؛ ففي كل يوم تذهب قبيلة إلى رسول الله في المدينة لِتعلِنَ إسلامها وتبايعه.

وهكذا تنقص أمام عيونهم دائرة الكفر، إلى أن أعلنوا هم أنفسهم دخولهم في الإسلام ، وهكذا شاء الحق سبحانه أن نقصتْ أرض الكفر، وازدادتْ أرض الإيمان"[4].

يقول الطاهر بن عاشور(1394هـ) في تفسيره: "والرؤية يجوز أن تكون بصرية. والمراد: رؤية آثار ذلك النقص، ويجوز أن تكون علمية، أي: ألم يعلموا ما حل بأرض الأمم السابقة من نقص؟ وتعريف "الأرض" تعريف الجنس، أي: نأتي أية أرض من أر اضي الأمم، وأطلقت الأرض هنا على أهلها مجازا، بقرينة تعلق فعل النقص بها ؛ لأن النقص لا يكون في ذات الأرض ولا يرى نقص فيها ولكنه يقع فيمن عليها"[5].

---

[1] - جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي - تفسير الجلالين- بيروت – صيدا- المكتبة العصرية- (د.ط)- (د.ت)- ج: 01- ص: 117.

[2] - وُلد سيّد قطب إبراهيم في قرية موشَة -التابعة لمحافظة أسيوط في مصر في 1906/10/9 وتخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة عام 1933- قسم الآداب، وشغل عدة وظائف في وزارة المعارف،عمل سيّد في الصحافة منذ شبابه، ونشر مئات المقالات في كبريات الصحف والمجلات المصرية ، وكان رجلاً اجتماعياً ذا حضور دائم في حياة مصر الثقافية والاجتماعية والسياسية والإصلاحية. ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي- سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد- بيروت- دار القلم - الدار الشامية- ط.2- 1414هـ - 1994م.

[3] - السيد قطب- في ظلال القرآن- ج : 13 - ص: 2065.

[4] - محمد متولي الشعراوي- تفسير الشعراوي – مصر – دار أخبار اليوم- (د.ط)- (د.ت) - ج: 12- ص: 7405.

[5] - الطاهر بن عاشور- التحرير و التنوير- ج : 14- ص : 171.

يلاحظ أن تفسير المحدثين للآيتين مشابه لتفسير القدامى، والمعنى العام يتمحور حول نقطتين هامتين وهما:

-أن النقص يكون في الأنفس والثمرات والمتاع، والنقص في النفس قد يكون عاما أو يكون خاصا يشمل الكافر فقط لتنزل العقوبات الربانية عليه.

-ويكون النقص في تقلص رقعة وبقعة الكفر بانتشار الإسلام فيها.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر.

يرد لفظ الأرض في القرآن بمع ان مختلفة، فتأتي بمعنى الكوكب ككل ، كما تأتي بمعنى اليابسة التي نعيش عليها، وترد مقصودا بها التربة التي تغطي الصخور، ولإنقاص الأرض من أطرافها في إطار كل مفهوم من تلك المفاهيم عدد من الدلالات العلمية يذكر منها ما يلي:

أ - دلالة لفظ الأرض على اليابسة التي نعيش عليها.

الصورتان العلميتان لإنقاص الأرض من أطرافها وفقا لهذا المعنى.

1. طغيان مياه البحار والمحيطات على اليابسة وإنقاصها من أطرافها : وذلك بانصهار سمك هائل من الجليد الموجود فوق قطبي الأرض، مما يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات فيغرق أغلب مساحات اليابسة ذات التضاريس المنبسطة حول البحار والمحيطات وهي صورة من صور إنقاص الأرض من أطرافها.[1]

2. عوامل التعرية المختلفة من المرتفعات وإلقاء نواتج التعرية في المنخفضات من سطح الأرض حتى تتم تسوية سطحها، ويتم ذلك عن طريق المياه الجارية أو الرياح فمثلاً المياه الجارية تنحت في الصخور وقمم الجبال وتذيب أجزاء منها وتمر في الأنهار بلايين الأطنان سنوياً من قمم الجبال إلى البحار والمحيطات[2]، وعليه فتمثل هذه العملية البيولوجية صورة علمية أخرى تحتملها الآية القرآنية الكريمة.

[1] - ينظر: زغلول النجار – الأرض في القرآن- ص :161.

[2] - ينظر: محمد السيد أرناؤوط - الإعجاز العلمي في القرآن - القاهرة - مكتبة مدبولي- (د.ط) – 1989م - ص :201.

ب -دلالة لفظ الأرض على التربة التي تغطي صخور اليابسة:

الصورة العلمية لإنقاص الأرض من أطرافها وفقا لهذا المعنى .

التصحر: زحف رمال الصحاري على مساحات كبيرة من الأرض الخضراء، وانحسار التربة الصالحة للزراعة.

ج -دلالة لفظة الأرض على الكوكب كاملا:

يعتبر تفلطحها قليلاً عند القطبين، وانبعاجها قليلاً عند خط الاستواء أهم الصور العلمية لإنقاص الأرض من أطرافها وفقا لهذا المعنى، وذلك بفعل القوة الطاردة (النابذة) المركزية الناشئة عن دوران الأرض حول محورها.

يقول الدكتور زغلول النجار: "يقدر متوسط قطر الأرض الاستوائي بنحو 12756.3 كم، ونصف قطرها القطبي بنحو 12713.6كم وبذلك يصبح الفارق بين القطرين نحو 42.7 كم، ويمثل هذا التفلطح نحو 33.% من نصف قطر الأرض، مما يدل على أنها عملية بطيئة جداً تقدر بنحو 1سم تقريباً كل ألف سنة، ولكنها عملية مستمرة منذ بدء خلق الأرض، وهي إحدى عمليات إنقاص الأرض من أطرافها "[1].

إذن فإنقاص الأرض من أطرافها له أكثر من دلالة علمية عصرية حقيقية.

[1] – زغلول النجار – الأرض في القرآن- ص: 159.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

اختلفت وجهات نظر المفسرين لهذه الآية باعتبارات أساسية يمكن إجمالها في:

1. **باعتبار المخاطب:** فمن رأى أن المخاطب في الآية قريشا، حمل نقصان الأطراف في الآية على حدود مكة، ومن رأى أن الخطاب موجه للكافرين عموما حملها عل تقلص رقعة الكفر بالفتوحات الإسلامية، وهي سنة الله في خلقه في كل زمان ومكان.

2. **باعتبار الحقيقة والمجاز:** فمن حمل لفظ الأرض على المجاز مثل لذلك بنقص بركات الأرض وثمارها أو النقص في الأنفس، ومنهم من مثل لها بالتصحر كبعض الجيولوجيين.

أما من حمل لفظ الأرض على الحقيقة – وهم أهل العلم التجريبي الحديث – فسر "النقص" بنقصها من طرفي قطبيها أو غمر حافات القارات بالبحار والمحيطات أو تعرية قمم الجبال.

إن كل هذه الوجوه التي ذكرها أهل التفسير من القدامى والمحدثين وأهل الاختصاص من علماء الجيولوجيا والفلك احتملتها الآية القرآنية ومنحت كل عصر ومصر معان تساير زمانهم وما وصلت إليه علومهم وثقافتهم.

إن الدلالات العلمية التي ذكرها علماء الجيولوجيا والفلك المسلمون لإنقاص الأرض من أطرافها، زادت من توسيع معاني الآية، وخدمت تفسير كتاب الله خدمة جليلة، أبرزت عظمة وإعجاز القرآن الكريم، وصدق العليم الخبير إذ يقول : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1]

[1] – سورة النمل– الآية :95.

المسألة الثانية: شكل الأرض

الآية التي ورد فيها ذلك:

وردت آيات كثيرة فيما يتعلق بشكل الأرض، وسأقتصر في هذه الدراسة على آية واحدة هي قول الله تعالى: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَيٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾.[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي للفظ «دحاها".

الدحو في اللغة بمعنى البسط، ودحى الأرض أي بسطها.

ورد في معجم العين أن: "المِدحاةُ خشبة يرمي بها الصبي، فتمر على وجه الأرض، لا تأتي على شيء إلا اجتحفته. وقطرٌ داحٍ يَدْحَى الحصى على وجه الأرض. والدَّحْوُ: البسط، والأداحي: سرب النعام، وموضعه الذي يبيض فيه ويفرخ".[2]

وجاء في لسان العرب: "والدَّحْوُ : البَسْطُ. يقال دَحَا يَدْحُو ويَدْحَى أي بَسَطَ ووسِع، والإدْحيَّة والأُدْحُوَّة: مبيض النعام في الرمل، لأن النعامة تدحوه بِرِجْلها... ومدحى النعام: موضع بيضها وأُدحيها: موضعها الذي تفرخ فيه. يقال يَدْحُو الحَجَر بيده أي يرمي به ويدفعه ".[3]

وقال كذلك: "والداحي الذي يدحو الحجر بيده... ويقال للاعب بالجوز: ابْعد المرمى وأدحه أي أرمه ".[4]

كما ورد في القاموس المحيط : "والأُدْحية: مبيض النعام في الرمل. دَحَيْت الشيء أدْحاهُ دَحْياً: بَسَطْتُه، والأُدْحيُّ، وتَدَحى: تَبَسّط، دحا البطن عَظم، واسترسل إلى الأسفل".[5]

يلاحظ اتفاق علماء اللغة على أن معنى دحا: بسط؛ وزاد ابن منظور (711هـ) رحمه الله معنى آخر وهو رمى.

---

[1] – سورة النازعات – الآية:30.

[2] – الخليل– العين – مادة (دحا) – ج: 03– ص: 280.

[3] – ا بن منظور– لسان العرب – مادة (دحو) – ج : 14 – ص:362.

[4] – المصدر السابق – نفس الصفحة.

[5] – الفيروز آبادي – القاموس المحيط – مادة (دحا) – ج : 04– ص: 326.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين من أهل التفسير

1 –تفسير الآية عند القدامى من أهل التفسير:

ذكر المفسرون أقوالا مختلفة لمعنى الدحو، فالإمام الطبري ذكر أن تفسيره ما جاء بعده أي: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَيٰهَا ۝٣١﴾[1]، وقد نقل ابن جرير هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنه. [2]

وتأويل الطبري للآية هو نفس تفسير ابن كثير، حيث فسر الدحي بإخراج ما كان مودعا فيها بالقوة إلى الفعل، لما أكملت صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض ، فأخرجت ما كان مودعا فيها من المياه فنبتت النباتات.[3]

وورد في الكشاف: "معنى ﴿دَحَيٰهَا﴾ بسطها ومهدها للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لابد منه في تأتي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب؛ وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها".[4]

وذكر آخرون أن دحاها بمعنى بسطها، يقول القرطبي (671هـ) "والأرض بعد ذلك دحاها أي بسطها ، وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء ، والعرب تقول: دحوت الشيء أدحوه دحوا: إذا بسطته. ويقال لعش النعامة أدحي لأنه مبسوط على وجه الأرض"[5].

---

[1] – سورة النازعات – الآية:31.

[2] – الطبري– جامع البيان – ج : 30– ص: 45.

[3] – ينظر: ابن كثير– تفسير القرآن العظيم– ج: 08– ص: 316.

[4] – الزمخشري– الكشاف – ج : 04– ص: 1327.

[5] – القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج : 15– ص: 246.

جاء لفظ "دحاها" في تفاسير القدامى بمعان مختلفة: فمنهم من تأوله بما جاء بعده في الآية، أي: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَيٰهَا﴾، ومنهم من ذكر أن معناها بسطها، وذكر آخرون : مهدها للسكنى، ثم ذكروا مستلزمات التمهيد بما لابد منه في تأتي سكناها.

2 –تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير.

لم يختلف المفسرون المحدثون عما قاله القدامى في بيان معنى الآية؛ يقول السيد قطب (1385هـ) رحمه الله في تفسيره الظلال : "ودحو الأرض تمهيدها وبسط قشرتها، بحيث تصبح صالحة للسير عليها ، وتكوين تربة تصلح للإنبات، وإرساء الجبال وهو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ووصول درجة حرارته إلى هذا الاعتدال الذي يسمح بالحياة".[1]

ويقول الطاهر بن عاشور (1394هـ) رحمه الله: "والمعنى: خلقها مدحوة، أي: مبسوطة مسواة".[2]

يلاحظ أن جل المفسرين رحمهم الله متفقون على أن دحاها بمعنى بسطها ومهدها؛ وحتى قول ابن جرير وابن كثير: إن "دحاها" فسر بما بعده لا يتعارض مع البسط والتمهيد.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر

استدلالا بالمعاني الواردة في المعاجم اللغوية لكلمة "دحو" استنتج أهل التفسير العلمي ، معنى آخر وهو التكوير والشكل المستدير وهو ما يطابق ما تؤكده الصور التي التقطتها آلات التصوير أثناء رحلات الأقمار الصناعية في الفضاء ؛ فهم يقولون إن كلمة دحاها تؤدي معنى أنه جعلها كالدحية أي كالبيضة ، و لأن الأدحوة معناها مكان بيض النعام ويكون عادة مستدير الشكل، ولا شك أن هذا يطابق شكل الأرض الحقيقي[3].

[1] – السيد قطب– في ظلال القرآن– ج : 30 – ص:3816.

[2] – الطاهر بن عاشور– التحرير و التنوير– ج : 31– ص : 87.

[3] – ينظر: سيد الجميلي - الإعجاز العلمي في القرآن - لبنان– بيروت– دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر –ط.2– 1992م – ص: 30.

كما أن الكشوفات العلمية الحديثة أظهرت أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلا من جوفها، ولا يزال خروجه مستمرا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية .

يقول الدكتور زغلول : "...إن الحسابات التي أجريت بضرب متوسط ما تنتجه الثورة البركانية الواحدة من بخار الماء من فوهة واحدة ، في متوسط مرات ثورانها في عمر البركان ، في عدد الفوهات والشقوق البركانية النشيطة والخامدة الموجودة اليوم علي سطح الأرض أعطت رقما قريبا جدا من الرقم المحسوب بكمية المياه علي سطح الأرض".[1]

ويرى أهل التفسير العلمي أيضاً أن للدحو معنى آخر ذكرته كتب اللغة، وهو الدفع والرمي. فإذا ما اعتبرنا أن لفظ الأرض في هذه الآية يراد به اليابسة، يمكن أيضاً أن تعبر كلمة دحاها بمعنى دفعها أو أزاحها وهو ما ينطبق تماماً على حقيقة علمية أخرى تدعى" إزاحة القارات" ولقد ساهمت كل العلوم في إثبات صحة إزاحة القارات ، فلقد ثبت أن قيعان المحيطات حديثة العهد جداً لا يتعدى عمرها على الأكثر 200 مليون سنة.

وقد ذكر وحيد الدين خان هذه الظاهرة العجيبة: "...وأن نوعي الصخور متماثلة في الشواطئ المتقابلة بين القارات فضلاً عن تماثل الأسماك والنباتات مما دفع العلماء إلى القول بأن مختلف قارات العالم كانت متصلة بعضها ببعض منذ ثلاثمائة مليون سنة ثم حدث الانشقاق والانفصال بالإزاحة التدريجية".[2]

[1] – زغلول النجار – الأرض في القرآن- ص: 144.

[2] – وحيد الدين خان- الإسلام يتحدى – ت: عبد الصبور شاهين – بيروت – دار البحوث العلمية – ط.2- 1973م- ص: 198.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة

إن كلا من الطبري وابن كثير قد فسرا ﴿دَحَيٰهَا﴾ بما بعدها، وهو ما يتوافق وتفسير العلماء المعاصرين الجيولوجيين كالدكتور زغلول النجار حيث ذكروا أن الكشوفات العلمية الحديثة أظهرت أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلا من جوفها ، ولا يزال خروجه مستمرا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية.

كذلك فإن أكثر الغازات اندفاعا من فوهات البراكين هو ثاني أكسيد الكربون ، وهو لازم من لوازم عملية التمثيل الضوئي التي تقوم بتنفيذها النباتات الخضراء مستخدمة هذا الغاز مع الماء وعددا من عناصر الأرض لبناء خلايا النبات وأنسجته ، وزهوره وثماره، ومن هنا عبر القرآن الكريم عن إخراج هذا الغاز المهم وغيره من الغازات اللازمة لإنبات الأرض من باطن الأرض تعبيرا مجازيا بإخراج المرعي، لأنه لولا ثاني أكسيد الكربون ما أنبتت الأرض، ولا كستها الخضرة.

وعليه فالتفسير العلمي لدحو الأرض وفق هذه الحقيقة العلمية أيد وجهة نظر القائلين بأن دحاها يفسرها ما بعدها، أي أخرج منها ماءها ومرعاها، فسبحان من خاطب كل عصر بما تفهمه عقولهم وما يناسب علومهم.

أما استنتاج أهل العلم الكوني لشكل الأرض البيضاوي انطلاقا من المعنى اللغوي للأدحوة، وهو مبيض النعام والذي عادة يكون مستدير الشكل بما يوافق الحقائق العلمية المصورة عبر الأقمار الصناعية، فهذا لا يناقض قول من ذكر أن دحي بمعنى بسط إذ يمكن أن يكون الجسم المستدير مبسوطاً كما قال صاحب القاموس في دحو البطن إذا عظم واسترسل إلى أسفل".[1]

[1]- ينظر: الفيروز آبادي – القاموس المحيط – مادة (دحا) – ج : 04- ص: 326.

وقد أشار صاحب مفاتيح الغيب رحمه الله أيضاً بقوله: "كانت الأرض أولاً كالكرة المجتمعة ثم أن الله تعالى مدها وبسطها" وليس معنى دحاها مجرد البسط، بل المراد البسط المهيأ لنبات الأقوات يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَيٰهَا ۝﴾[1]

والجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي ، وهذا يعني أن الدحو يمكن أن يعبر به عن الأجسام المسطحة والكروية ما دام فيها توسع وانبساط.

مذهب الفريق الثالث – وغالبيتهم من الباحثين المعاصرين – الذين أرادوا ربط حقيقة إزاحة القارات بالمعنى اللغوي للدحو أي الرمي والإزاحة ومن ثم الإشارة إلى إعجاز القرآن في هذه الآية يمكن الإجابة عليه من نقطتين متمايزتين:

1 –إذا كان ربط الآية بهذه الحقيقة العلمية من باب الاستئناس في زيادة وتوسيع المعاني التي احتوتها الآية فلعله والله أعلم يمكن الاستفادة هذا الربط لأنه من قبيل التفسير العلمي.

2 –إذا أراد به أصحابه الإعجاز العلمي للقرآن فهذا والله تعالى أعلم غير معول عليه في تفسير الآية وإلا فكل حقيقة علمية فتشنا لها عن إشارة لغوية وأسقطناها على كتاب الله مدعين أنه إعجاز قرآني، هذا ولا ريب يفتح بابا عظيما من أبواب التقول على الله بغير علم.

مما سبق فالآية على قصرها احتملت معان لغوية وعلمية عديدة وعجيبة تخاطب كل زمان بما برع فيه أصحابه لتكون الحجة أبلغ وأقوى.

[1] – ينظر: فخر الدين الرازي– مفاتيح الغيب – بيروت– دار الكتب العلمية– ط.1– 1421ه– 2000م–ج:31 ص: 45

المبحث الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بالجبال.

من الظواهر الكونية التي أشارت إليها كثير من آيات الله تبارك وتعالى" الجبال "، وهي محل الدراسة في هذا المبحث إن شاء الله.

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للجبال.

1 –التعريف اللغوي للجبال:

اتفق أهل المعاجم في بيان معنى الجبل؛ فقد قال الخليل أحمد (170هـ): "جبل: اسمٌ لكل وَتِدٍ من أوتاد الأرض إذا عَظُمَ وطالَ من الأَعلامِ والأَطوارِ ... فإذا صَغُرَ فهو من الآكام والقِيران وجبلة الجبل: تأسيس خلقته التي جبل عليها ، وجبلة الأرض: صلابها وجبلة كل مخلوق: ما طبع عليه. "[1]

وذكر ابن منظور(711هـ) في اللسان: "الجبل: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام، ... والجمع أجبل وأجبال وجبال. وأجبل القوم: صاروا إلى الجبل. وتجبلوا: دخلوا في الجبل"[2] .

وقال الفيومي (770هـ) في المصباح المنير: "قال بعضهم ولا يكون جبلاً إلا إذا كان مستطيلاً "[3].

والحاصل مما سبق فالجبل يطلق في اللغة على كل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال.

2 –التعريف الاصطلاحي للجبال:

ذكر الدكتور زغلول النجار في كتابه المفهوم العلمي للجبال أن دائرة المعارف الأمريكية تعرف الجبل بأنه: "جزء من سطح الأرض يرتفع على المستوى المحيطة به ، و يتضاءل ارتفاع الأطراف الجبلية على مراحل مارة بمرحلة التلال إلى المناطق المنخفضة التي تدعى السهول "[1].

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي – العين – مادة (جبل) – ج : 06– ص: 136.

[2] – محمد بن مكرم بن منظور– لسان العرب – مادة (جبل) – ج : 11 – ص:96.

[3] – أحمد بن محمد بن على الفيومي– المصباح المنير– – مادة (جبل) – ج : 01 – ص: 90.

3 -الجبال في القرآن.

وردت كلمة "جبل" بصيغة المفرد والجمع في القرآن الكريم تسعا وثلاثين مرة، منها" ست مرات في صيغة المفرد وثلاثا وثلاثين مرة في صيغة الجمع".[2]

المسألة الأولى: شكل الجبل ووظيفته

الآية التي ورد فيها ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[3]

المطلب الأول: التفسير اللغوي للفظ "أوتادا"

يقصد بالوتد في اللغة ما رز من خشب أو حديد في أرض أو حائط، قال الخليل ابن أحمد رحمه الله (170هـ): "وتد: الوَتِدُ معروف، وجمعه أوتاد، وتقول: تِدْ يا فلان وَتَداً "[4].

وقال ابن منظور(711هـ) في لسان العرب: "الوتِد بالكسر والوَتَد: ما رُزَّ في الحائط أو في الأرض من الخشب، والجمع أوتاد، ووتد الوتد وتدا وتدة ووتد كلاهما: ثبت "[5].

وأشار الفيروز آبادي (817هـ)[6] إلى معنى الوتد قائلا: "وأوْتادُ الأَرْضِ جِبالُها"[1].

---

[1] – ينظر : زغلول النجار– المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم– ص: 28.

[2] – ينظر : محمد فؤاد عبد الباقي– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم– القاهرة– مطبعة دار الكتب المصرية– (د.ط)– 1364 ه– ص:136.

[3] – سورة النبأ– الآية :6 و7.

[4] – الخليل– العين – مادة (وتد) – ج:8– ص:55.

[5] – ابن منظور– لسان العرب – مادة (وتد) ج :3– ص:444.

[6] – هو حمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب . ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام ، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد (سنة 796 هـ) فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها . ، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد سنة 817ه– ينظر: الزركلي – الأعلام– ج:07– ص: 146.

التعريف الإصلاحي للأوتاد: وردت تعاريف عدة يمكن الاقتصار على بعضها، منها ما عرفه الدكتور زغلول النجار: "الأوتاد قطع من خشب أو حديد غليظة الرأس ، مدببة النهاية، تثبت بها أركان الخيمة في الأرض بدكها ح تى يدفن أغلبها في الأرض ، ويبقي أقلها ظاهرا فوق السطح ، فتشد بذلك العمق أركان الخيمة إلي الأرض فتثبتها وتجعلها قادرة علي مقاومة فعل الرياح ، والعواصف الهوجاء".[2]

إنّ الوتد ما رزّ في الأرض من قطع خشبية أو حديدية مدببة النهاية غليظة الرأس لتثبيت أركان الخيمة.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

1- تفسير الآية عند القدامى:

تتقارب آراء المفسرين في بيان المراد بمعنى الآية، وهو تشبيه الجبال بالأوتاد في وظيفتها .

قال الإمام الطبري (310هـ) في تفسير الآية: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم"[3].

وقال الإمام القرطبي (671هـ) مفسرا لمعنى قوله تعالى : ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ أي: "لتسكن ولا تتكفّأ ولا تميل بأهلها"[4].

وقال ابن جزي (741هـ): "شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد "[5].

وقال أبو حيان الأندلسي (745هـ) رحمه الله تعالى : ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ أي: "ثبتنا الأرض بالجبال كما يثبت البيت بالأوتاد"[1].

---

1 -م حمد بن يعقوب الفيروز آباد ي- القاموس المحيط - بيروت - مؤسسة الرسالة- ط. 8- 1426ه- 2005م-- مادة (وتد)- ج :1- ص:343.

2 - زغلول النجار – الأرض في القرآن- ص :204.

3 - جامع البيان- الطبري- ج : 30 - ص: 3 .

4 - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج : 19 - ص: 171.

5 - ابن جزي – التسهيل- ج:2- ص:286.

وقال ابن كثير (774هـ) رحمه الله في تفسيرها: "أي جعل لها أوتادا ، أرساها بها ، وثبتها وقررها حتى سكنت و لم تضطرب بمن عليها "[2].

من خلال عرض ما سبق يتبين أن المفسرين القدامى ذكروا وجه الشبه بين الجبل والوتد وهو التثبيت، أي أن الجبال وظيفتها تثبيت الأرض من الميدان والميلان والتحرك كما أن وظيفة الوتد هو تثبيت الخيمة، فيَأمن النّاس على حياتهم، وتستقر معايشهم.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير.

فسر المحدثون الآية بمثل تفسير القدامى، مبرزين وجه الشبه بين الجبل والوتد، قال صاحب الظلال(1385هـ):" وجعل الجبال أوتادا.. يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد ، فهي أشبه شيء بأوتاد الخيمة التي تشد إليها. أما حقيقتها فنتلقاها من القرآن ، وندرك منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها "[3].

ويحاول أن يوضح بعض وظائف الجبال فيقول: " وقد يكون هذا لأنها تعادل بين نسب الأغوار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال. .. وقد يكون لأنها تعادل بين التقلصات الجوفية للأرض والتقلصات السطحية، وقد يكون لأنها تثقل الأرض في نقط معينة فلا تميد بفعل الزلازل والبراكين والاهتزازات الجوفية ... وقد يكون لسبب آخر لم يكشف عنه بعد.. وكم من قوانين وحقائق مجهولة أشار إليها القرآن الكريم، ثم عرف البشر طرفا منها بعد مئات السنين!"[4].

يقول الطاهر بن عاشور(1394هـ): "والوتد: عود غليظ شيئا، أسفله أدق من أعلاه، يدق في الأرض لتشد به أطناب الخيمة وللخيمة أوتاد كثيرة على قدر اتساع دائرتها، والإخبار عن الجبال بأنها أوتاد على طريقة التشبيه البليغ، أي: كالأوتاد"[5].

---

[1] – أبو حيان – البحر المحيط- – ج: 08 – ص: 409

[2] – ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج: 4 – ص: 463.

[3] – السيد قطب- في ظلال القرآن- ج : 30 – ص :3804 .

[4] – السيد قطب- في ظلال القرآن- ج : 30 – ص :3804

[5] – الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج: 21- ص :15

ثم يضيف رحمه الله قائلا : "ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها، بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة لتعديل سبح الأرض في الكرة الهوائية ؛ إذ نتو ء الجبال على الكرة الأرضية يجعلها تكسر تيار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض فيعتدل تياره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة"[1].

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره : ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ "تثبت الأرض بها فيأمنون على حياتهم من الميدان وسقوط كل بناء"[2]

يبدو أن أقوال أهل التفسير المعاصرين في معنى الآية الكريمة هي الأخرى متقاربة، ومشابهة لأقوال المفسرين القدامى ، غير أَنَّ المتأخرين توسعوا في تعليل كون الجبال أوتادا، باحثين عن بعض الحكم الربانية في ذلك، وتظهر المسحة العلمية الحديثة جلية في بيان ذلك.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر

ذكر العلماء الجيولوجيون حقائق علمية حول الجبال زادت من إيضاح معنى الآية وفق معارف وعلوم العصر.

يقول الدكتور زغلول النجار : "ثبت أن كل نتوء أرضي فوق مستوي سطح البحر له امتداد في داخل الغلاف الصخري للأرض يتراوح طوله بين10 و15 ضعف ارتفاعه، وكلما كان الارتفاع فوق مستوي سطح البحر كبيرا تضاعف طول الجزء الغائر في الأرض امتدادا إلى الداخل"[3]

[1] – المصدر نفسه– ص :16

[2] – أبو بكر جابر الجزائري – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير –المدينة المنورة– مكتبة العلوم والحكم – ط.3– 1418هـ–1997م–ج : 5– ص :551

[3] – زغلول النجار – المفهوم العلمي للجبال– ص :18.

وفق هذه الحقيقة العلمية فإن أعلى قمة جبلية يصل ارتفاعها فوق مستوي سطح البحر إلى تسعة كيلو متر (8848 مترا) لها امتداد في داخل الغلاف الصخري للأرض يزيد عن المائة والثلاثين كيلو مترا، يخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل .

ويقول منصور محمد حسب النبي : "الأوتاد لا بد في إنشائها وتثبيتها من قوة ما، فالدق قوة من الأعلى إلى الأسفل لتثبيت الوتد في الأرض يناظره قوة التثاقل "الجاذبية" التي تؤدي إلى هبوط قشرة الأرض بتأثير ما عليها من رواسب تراكمت بمرور الزمن في أعماق القشرة وحتى الرداء"[1].

يذكر علماء الجيولوجيا حقيقة أخرى علمية عجيبة وهي : "أن أي ثقل على سطح الأرض يؤثر على دورانها وله دور في تحقيق توازنه ا كالجبال والبحار والهواء ، بل أن كل حدث تشهده الأرض فوق سطحها أو تحتها كانتقال مادة من محل إلى آخر يكون له تأثير على سرعة دورانها".[2]

والجبال هنا هي الأوتاد التي تمنع قشرة الأرض من المَيَدَان أي الترنح والاهتزاز أثناء حركتها.

[1] – ينظر منصور محمد حسب النبي– المعارف الكونية بين العلم والدين– مصر – القاهرة– دار الفكر العربي– 1418هأ – 1998م – ص : 312.

[2] – عبد الجبار شاكر– القرآن يفك لغز الأرض– بغداد – مطبعة أسعد – ط.1– 1985م– ص :43وينظر :فهد خليل زايد– الأعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم– الأردن– دار النفائس– ط.1– 1428ه– 2008م– ص :83.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

إن القاسم المشترك بين أقوال المفسرين وحقائق العلم الحديث يتمثل في الوظيفة الرئيسة للجبال وهي تثبيت الأرض بصفة عامة ، غير أن ما أثبته العلم الحديث من نسبة طول الجزء الظاهر للجبل مقارنة بالمغروس منه في الأرض تأكيد للإعجاز العلمي القرآني بوصف الجبال بأنها أوتاد فسبحان الذي وصفها من قبل ألف وأربعمائة سنة "بالأوتاد" وهي لفظة واحدة تصف كلا من الشكل الخارجي للجبل، وامتداده الداخلي ووظيفته، لأن الوتد أغلبه يدفن في الأرض، وأقله يظهر علي السطح، ووظيفته التثبيت.

وقد راح بعض المفسرين المحدثين كسيد قطب يبحث عن تأويلات لكيفية هذا التثبيت فبعد أن قدم احتمالات قال : "... وكم من قوانين وحقائق مجهولة أشار إليها القرآن الكريم، ثم عرف البشر طرفا منها بعد مئات السنين! "[1].

هذه التساؤلات والاحتمالات وجدت لها أجوبة في حقائق علمية حديثة ، فالعلم الحديث أثبت: أن للأرض قشرة تمسك جوفها المشتعل وهذه القشرة لن تمسك شيئاً لولا ثباتها وتماسكها الذي لا يأتي إلا بالجبال التي تفعل فعل الأوتاد والمسامير، وتحافظ على توازن القشرة الأرضية التي هي بدورها ميزان دقيق وحساس مركب[2].

تمكنت الآية القرآنية بلفظين "والجبال أوتادا" من اختزان معان بيانية وعلمية عظيمة، ولا يزال معنى الآية مفتوحاً للأجيال اللاحقة يُستكشف منه إلى يوم القيامة، ويدر من كنوزه وهذا من إعجاز القرآن البياني.

[1] – السيد قطب– في ظلال القرآن– ج : 30 – ص :3804

[2] – ينظر: مصطفى الدباغ– وجوه من الإعجاز العلمي – الأردن – مكتبة المنار – ط.2–(د.ت)– ص : 155.و داوود سلمان السعدي– أسرار الكون في القرآن– لبنان – بيرو دار الحرف العربي– ط.4– 2011م– ص :169.

المسألة الثانية: وصف القرآن للجبال بالرواسي

الآيات التي ورد فيها ذلك:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾[2]

وقال تعالى كذلك: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾.[3]

المطلب الأول: التفسير اللغوي .

1- التفسير اللغوي للإلقاء.

يطلق اللقي في اللغة على الملقى على الأرض ، وألقيت الشيء بمعنى طرحته.جاء في معجم العين: "واللَّقى: ما أَلْقى الناس من خرقة ونحوِه "[4].

وفي لسان العرب: "اللّقي الملقى على الأرض والبقي اتباع له ... وأخذت ثيابها فجعلت لقي أي: مرماة ملقاة. قال أبو الهيثم: اللقي ثوب المحرم يلقيه إذا طاف بالبيت في الجاهلية، وجمعه ألقاء. وألقى الشيء: طرحه، واللقي كل شيء متروك كاللُّقطة. والألقية: ما ألقي "[5].

---

[1]-سورة النحل- الآية :15.

[2] - سورة الأنبياء- الآية :30.

[3] - سورة لقمان - الآية :10.

[4] - الخليل- العين – مادة (وتد) - ج:5- ص:216.

[5] - ابن منظور- لسان العرب - مادة (لقى) - ج :15- ص:256.

وورد في الصحاح: " وألقيتُه طرحتهُ تقول ألْقِه من يدك وألْق به من يدك."[1]

وكذا في مقاييس اللغة: " ألقيته: نبذته إلقاءً. والشَّيء الطريح لقنً "[2].

وعليه فتتفق أقوال علماء اللغة على أن "ألقى" بمعنى طرح.

2- التفسير اللغوي للرواسي.

اتفق أهل اللغة في بيان معنى "الرواسي " فقد ذكر الخليل أحمد (170هـ) رحمه الله أن: "رسا الجبلُ يرسو، إذا ثبت أصله في الأرض ورست السفينة انتهت إلى قرار الماء، فبقيت لا تسير. والمِرْساةُ: أَنْجرٌ يُشَدُّ بالحِبال فيُرْسَلُ في البحر فيمسِك بالسَّفينة ويرُسيها فلا تَسِيرُ "[3]

وقال الجوهري(393هـ): "رسَا الشيء ثبت ، ورَسَتِ السفينة وقفت على الأنجر ... والمِرْساةُ التي ترسي بها السفينة... الرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ واحدها (راسية)."[4]

وقال ابن فارس (395هـ):" أن الراء والسين والحرف المعتل أصل يدل على ثبات تقول رَسا الشيء يرسو، إذا ثبت. والله جل ثناؤه أرسى الجبالَ، أي أثبتها. وجبلٌ راسٍ: ثابتٌ."[5]

وقال ابن منظور(771هـ): "رَسَا الشَّيء يَرْسُو رُسُوّاً وأَرْسى: ثَبَتَ، وأَرْساه هو.قال ابن بري: يقال أَرْسَيْتُ الوَتِدَ في الأرض إذا ضَرَبْته فيها... والجبال الرواسي والرَّاسيات: هي الثَّوابِتُ، وقال ابن الأعرابي: الرَّاسِيُّ الثابت في الخير والشر. والرُّسي: العمود الثابت في وسَط الخِباء. "[6]

إن معنى الراسي في اللغة : الثابت ، وعليه فالجبال الرواسي هي الثوابت في الأرض.

---

[1] – الجوهري- الصحاح – مادة (لقى) – ج : 6 – ص: 248.

[2] – ابن فارس- مقاييس اللغة – مادة (لقى) – ج : 05 – ص: 260.

[3] – الخليل- العين – مادة (رسا) – ج:7- ص:290.

[4] – الجوهري- الصحاح – مادة (رسا) – ج: 6 – ص: 356.

[5] – ابن فارس- مقاييس اللغة – مادة (رسا) – ج: 02 – ص: 394.

[6] – ابن منظور- لسان العرب – مادة (رسا) – ج:14- ص:321.

3- التفسير اللغوي للميد.

يدور معنى الميد في اللغة حول الحركة والاضطراب. قال الخليل (170هـ): " المَيْد هو الذهاب والمَجيء والاضطراب، ومادَتِ المرأة: مالت وتبخترت كما يَميد الغُصْن"[1].

وقال ابن فارس (395هـ) :" المَيْد : التحرك. وماد يميد. ومادت الأغصان تميد: تمايلت، وأصابه مَيْد، أي دوار عن ركوب البحر"[2].

وقال ابن منظور (711هـ):" وماد الشيء يَميدُ مَيْداً: تحرك، (وسميت بالمائدة).... كأَنها تَميدُ بما عليها أَي تتحرك وقال أَبو عبيدة سميت المائدة لأَنها مِيدَ بها صاحِبُها أَي أُعْطِيها وتُفُضِّل عليه بها "[3].

بعد استعراض ما سبق من أقوال اللغويين، يمكن القول أن معنى مادت الأرض تحركت واضطربت.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

1- تفسير الآية عند القدامى:

اتفق أكثر المفسرين على أن معنى الرواسي : الثوابت وأن معنى قوله تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لئلا تميد بكم ولا تتحرك ليتم القرار عليها أو كراهية أن تميد بكم.

يقول الطبري (310هـ): "يقول تعالى ذكره: ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا، أن ألقى في الأرض رواسي، وهي جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال. وقوله تبارك

[1] - الخليل- العين – مادة (ميد) - ج:8- ص:89.

[2] - ابن فارس- مقاييس اللغة - مادة (ميد) - ج: 05 - ص: 288.

[3] - لسان العرب - مادة (ميد) - ج:3- ص:412.

وتعالى ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾. يعني: " أن لا تميد بكم ، وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها بل وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها. "[1]

وذكر الإمام البغوي (516هـ) في تفسيرها: "أي تتحرك وتميل. والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر : ميد "[2]

وقال القرطبي (661هـ) رحمه الله : "أن تميد بكم أي لئلا تميد ؛ عند الكوفيين . وكراهية أن تميد ، على قول البصريين ؛ والميد : الاضطراب يمينا وشمالا ، ماد الشيء يميد ميدا إذا تحرك ، ومادت الأغصان تمايلت ، وماد الرجل تبختر"[3]

وجاء في تفسير ابن كثير (774هـ): "...ذكر تعالى الأرض، وما جعل فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات ، لتقر الأرض ولا تميد أي : تضطرب بما عليها من الحيوان فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك "[4]

يجمع المفسرون القدامى على أن وظيفة الجبال هي تثبيت الأرض خشية الحركة والاضطراب، حتى تستقيم حياة الإنسان، وهذه من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

ما يلاحظ على اتفاق المفسرين القدامى من أن معنى الرواسي الثوابت وأن معنى قول الله تعالى: ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لئلا تميد بكم ولا تتحرك ليتم القرار عليها أو كراهية أن تميد بكم؛ هو نفسه ما يلاحظ على تفسير المعاصرين من أهل التفسير، ويتضح ذلك جليا فيما يلي:

أورد الألوسي (1270 هـ)[1]: "قول ابن عباس حيث قال: إن الله تعالى لما بسط الأرض على الماء مالت كالسفينة فأرساها بالجبال الثقال لئلا تميل بأهلها "[2].

---

[1] – جامع البيان– الطبري– ج : 17 – ص: 183.

[2] – الحسين بن مسعود البغوي– معالم التنزيل– ج05: – ص: 317 .

[3] – القرطبي – الجامع لأحكام القرآن– ج : 11– ص: 193 .

[4] – ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج: 04– ص: 563.

ثم يضيف رحمه الله في موضع آخر : " ووجه كون الإلقاء مانعاً عن اضطراب الأرض بأنها كالسفينة على وجه الماء والسفينة إذا لم تكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب بأدنى شيء وإذا وضعت فيها الأجرام الثقيلة تستقر فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة... "[3].

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور(1394هـ): " وهذه المخلوقات لما كانت مجعولة كالتكملة للأرض، وموضوعة على ظاهر سطحها عبر عن خلقها ووضعها بالإلقاء الذي هو رمي شيء على الأرض، ولعل خلقها كان متأخرا عن خلق الأرض، إذ لعل الجبال انبثقت باضطرابات أرضية كالزلزال العظيم ثم حدثت الأنهار بتهاطل الأمطار، وأما السبل والعلامات فتأخر وجودها ظاهر، فصار خلق هذه الأربعة شبيها بإلقاء شيء في شيء بعد تمامه ."[4]

ويتابع كلامه رحمه الله قائلا في موضع آخر: "وقوله تعالى ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾. تعليل لإلقاء الرواسي في الأرض، والميد: الاضطراب، وضمير (تميد) عائد إلى الأرض بقرينة قرنه بقوله تعالى بكم؛ لأن الميد إذا عدي بالباء علم أن المجرور بالباء هو الشيء المستقر في الظرف المائد والاضطراب يعطل مصالح الناس ويلحق بهم آلاما.. . ولما كان المقام مقام امتنان علم أن المعلل به هو انتفاء الميد لا وقوعه ، فالكلام جار على حذف تقتضيه القرينة، ومثله كثير في القرآن وكلام العرب"[5].

---

[1] – هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، مفسر، أديب، محدث من أهل بغداد، مولده سنة سبع عشرة ومائتين وألف، تقلد الإفتاء في بلده وله مصنفات أعظمها روح المعاني، مات سنة سبعين ومائتين وألف. ينظر: الزركلي – الأعلام – ج 07:- ص: 176

[2] – محمود أبو فضل الآلوسي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – لبنان– بيروت– دار إحياء التراث العربي – (د.ط)– (د.ت) ج : 14– ص: 29 .

[3] – المصدر نفسه – ص: 114.

[4] – الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير– ج : 18– ص :57.

[5] – الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير– ج : 18– ص :58.

ويقول الإمام الشنقيطي (1393هـ): "إلقاؤه الجبال في الأرض لتثبت ولا تتحرك، وكرر الامتنان بهذه النعمة في القرآن كقوله : ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وقوله – جل وعلا والجبال أرساها، والآيات بمثل ذلك كثيرة جدا "[1].

ورد في التفاسير المذكورة أن الله تبارك وتعالى ألقى الجبال في الأرض لتثبت ولا تتحرك، والمقام هنا مقام امتنان، وتذكير بآلاء المنعم سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر

من الإشارات العلمية المبهرة في هذه الآية الكريمة توظيف تعبير الإلقاء لوصف تكون الجبال ووصف الجبال بأنها رواس للأرض خشية أن تميد بما عليها من خلق ، وفيما يلي تفصيل ذلك:

1- وصف عملية تكون الجبال بتعبير الإلقاء

أثبت العلم الحديث أن هناك نوع من الجبال يدعى بالجبال البركانية هي أبسط أنواع الجبال المعروفة، وتكون عادة على شكل قمم معزولة، تكونت من تراكم الطفوح البركانية المتدفقة وفتات الصخور البركانية وغيرها من الصخور المقذوفة عبر فوهات البراكين.

يقول الدكتور زغلول النجار: "وتظل تلك الحمم تتراكم فوق بعضها البعض لتكون كتلا جبلية معزولة من الصخور البركانية تصل ارتفاعاتها إلى آلاف الأمتار فوق مستوي سطح البحر لأن معظم هذه البراكين يستمر في نشاطه لفترات تتراوح بين 20 و30 مليون سنة, وإن كان بعضها قد يستمر نشاطه لأكثر من مائة مليون سنة"[2].

إذن فهذه الجبال البركانية تتكون من مقذوفات البراكين التي ترتفع من فوهتها ثم تسقط على جوانبها إلقاءً، فسبحان من كان ولا يزال كلامه معجزا إلى يوم القيامة.

[1] –محمد الأمين الشنقيطي– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن–دار عالم الفوائد– (د.ط)– (د.ت)– ج: 2–ص:362.

[2] –ينظر : زغلول النجار – المفهوم العلمي للجبال – ص :55.

2- وصف الجبال بأنها رواسي:

أثبت العلم الحديث كذلك أن وجود الجبال بكتلها الغائرة في الغلاف الصخري للأرض والطافية في نطاق الضعف الأرضي يقلل من شدة ترنح الأرض في دورانها حول محورها ، ويجعل حركتها أكثر انتظاما وسلاسة تماما كما تفعل قطع الرصاص التي توضع حول إطار السيارة للتقليل من رجرجتها وانتظام حركتها وبذلك أصبحت الأرض مؤهلة للعمران بمختلف صور الحياة.[1]

إذن فالجزء البارز من الجبال فوق سطح الأرض هو في الحقيقة ليس إلا القمم البارزة لكتل هائلة من الصخور التي تطفو في نطاق الضعف الأرضي كما تطفو جبال الجليد في ماء البحر المحيط ومن هنا كان وصف القرآن الكريم للجبال بالرواسي وصفا معجزا ، لأن الجبال ترسو بأوتادها في نطاق الضعف الأرضي كما ترسو السفينة في ماء البحر علي مرساها.[2]

3- العلاقة بين دوران الأرض ووظيفة الجبال.

إن العزم الدوراني للأرض يؤدي إلى ميدان قشرتها وانزلاقها على ما تحتها، وغرس الجبال فيها يثبت هذه القشرة.[3]

[1] - ينظر : زغلول النجار – الأرض في القرآن الكريم - ص :252.

[2] - ينظر :المصدر نفسه- نفس الصفحة.

[3] -ينظر : كامل النجار – المعارف الكونية بين العلم والدين - ص :312.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

إن المتتبع للآيات التي ورد فيها ذكر الجبال، يجد أن القرآن الكريم أشار إلى بعضها أحيانا بفعل "جعل" وأحيانا أخرى بفعل " ألقى « وبالفعلين جاء التعبير عن خلق الجبال. والدلالة في "جعل" عامة تشمل أنواع الجبال كلها؛ لكن الدلالة في ألقى أخص منها في جعل فهو يفيد معنى الطرح والنبذ وكل شيء متروك ملقى.

يقول أبو حيان (745هـ) عند تفسير آية النحل: " قال المتأولون - ألقى بمعنى خلق وجعل- وهي عندي أخص من خلق وجعل، وذلك أن (ألقى) تقتضي أن الله أوجد الجبال ليس من الأرض ولكن من قدرته وخلقه "[1]

والإمام وان أصاب في قوله: " ألقى" أخص من جعل، إلا أنه لم يكن يعرف أن الجبال أنواع مختلفة النشأة.

إذن فالفعل " ألقى" ينطبق تماماً على تلك الجبال البركانية التي تتكون من مقذوفات البراكين كما ذكر الجيولوجيون، وهذا التوجيه له شاهد من كتاب الله ، يقول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾[2]، يعبر به عما يخرج ملمفي داخل الأرض إلى خارجها . وهو ما أشار إليه العلم الحديث.

ويلاحظ من خلال هذا كيف خدم التفسير العلمي تفسير كتاب الله من حيث توسيع معانيه من جهة، والاستدلال على إعجاز القرآن من جهة أخرى.

أما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فقد جاءت موضحة للآية: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ۝٧﴾ عبر عن الجبال بقوله "رواسي" وهي الثوابت التي ترسي الأرض.

وهو ما عبر به المفسرون القدماء.

[1] - ينظر :أبو حيان- البحر المحيط- ج : 08- ص :387.

[2] - سورة الانشقاق- الآية :4.

بالمقابل أثبتت الحقائق العلمية دور الجبال في تثبيت القشرة الأرضية من جهة ، وتثبيت الكوكب ككل من جهة أخرى [1]، مما زاد المعاني القرآنية التي ذكرها المفسرون في شكل الجبال ووظيفتها وضوحا، ودل على إعجاز القرآن البياني ، فسبحان الخالق المبدع القائل في كتابه :

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[1] – ينظر : سليمان بن صالح القرعاوي– التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الأعجاز العلمي للقرآن الكريم– الرياض– دار الحضارة للنشر والتوزيع– ط.1– 1425ه– 2004 م– ص :242.

المبحث الثالث: تفسير الآيات المتعلقة بالبحار

المسألة الأولى: ظلمات البحر

الآية التي ورد فيها ذلك.

قال الله تبارك و تعالى: ﴿أَو كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي

1 –التفسير اللغوي للبحر.

اتفق أهل اللغة في بيان معنى البحر فقد ورد في معجم العين: "البَحْر سُمِّيَ به لاستبحاره، وهو انبساطه وسَعَتُه."[2]

وجاء في الصحاح: «البَحرْ خلاف البَرْ، قيل سمي به لعمقه واتساعه، والجمع (أبْحُرٌ) و(بِحَار) و(بُحُور)، وكل نهر عظيم بحرٌ... ويقال: بَحَرَ فلانٌ، إذا ركب البحرَ. والبَحْرُ: عُمقُ الرَحِمِ. ومنه قيل للدم الخالصِ الحُمْرَةِ: باحِرٌ وبَحْرانيٌّ. "[3]

وفي اللسان: "البَحرُ الماءُ الكثيرُ ملحاً كان أو عذباً وهو خلاف البَرِّ، سمي بذلك لعمقه واتساعه... وجمعه أَبْحُرٌ وبُحُورٌ وبِحارٌ وماءٌ بَحْرٌ مِلْحٌ قَلَّ أَو كثر "[4]

وبمثله ورد في القاموس المحيط:" البحر: الماء الكثير أو الملح فقط".[1]

---

[1] – سورة النور– الآية :39.

[2] – الخليل بن أحمد الفرا هيدي– العين – مادة (بحر) – ج :3– ص:219.

[3] – الجوهري– الصحاح – مادة (بحر) – ج: 2 – ص: 585.

[4] – ابن منظور– لسان العرب – مادة (بحر) – ج:4– ص:42.

وعليه فالبحر في اللغة خلاف البر، يطلق على الماء الكثير ملحا كان أو عذبا، وسمي بذلك لعمقه واتساعه.

2 –التفسير اللغوي للفظ "لجي".

ذكر أهل اللغة معان كثيرة لمادة (لج)، قال الخليل (170هـ): "وبَحْر لُجِّيٌّ أي واسِعُ اللُّجَّةِ والْتجَّ الظَّلامُ: اختَلَطَ، والأصوات اختَلطَتْ وارتفَعَتْ"[2].

وذكر الجوهري (393هـ) في الصحاح: "لَجِجْتَ بالكسر، تَلَجُّ لَجاجاً ولَجاجَةً، فهو لجوجٌ ولجوجةٌ، الهاء للمبالغة . ولَجَجْتَ بالفتح تلِجُّ لغة ... والْتَجَّتِ الأصواتُ، أي اختلطت. ولُجَّةُ الماء بالضم: معظمُه، وكذلك اللُجُّ. ومنه بحرٌ لُجِّيٌّ. واللُجُّ أيضاً: السيف. ولَجَّجَتْ السفينةُ، أي خاضت اللُجَّة. والْتَجَّ البحر الْتِجاجاً"[3].

كما ذكر ابن فارس (395هـ) أن: "اللام والجيم أصل صحيح يدلُّ على تردّد الشيء بعضه على بعض، وترديد الشيء ... ومن الباب لُجُّ البحر، وهو قاموسُه، وكذلك لُجَّته، لأنه يتردَّد بعضه على بعض يقال التجَّ البحر التجاجاً "[4].

وقال ابن منظو ر (711هـ): "ولجة البحر: حيث لا يدرك قَعْرُه... ولُجَّ البحر: عُرْضه... ولُجُ البحر الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه.. ولجة الماء بالضم معظمُه. وخص بعضهم به معظم البحر، وكذلك لجُة الظلام، وجمعه لُجٌّ ولُجَجٌ ولِجاجٌ... ولجُ الليل: شدة ظلمته وسواده"[5].

---

[1] – الفيروز آبادي– القاموس المحيط– مادة (بحر) – ج :2– ص:367.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي– العين – مادة (لج) – ج :6– ص:13.

[3] – الجوهري– الصحاح – مادة (لج) – ج:1 – ص: 338.

[4] – ابن فارس – مقاييس اللغة– مادة (لج) – ج:5– ص:202.

[5] – ابن منظور– لسان العرب – مادة (لجج) – ج :2– ص:355.

وقال أيضا: "وبحر لُجاجٌ ولجي: واسعُ اللُّج ... ويقال: هذا لُجُّ البحر ولَجَّة البحر وقال بعضهم اللُجة الجماعة الكثيرة كلجة البحر... والتج الظلام التبس واختلط"[1].

مما سبق فلجة البحر: حيث لا يدرك قَعْرُه، أو معظم مائه.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

1 –تفسير الآية عند القدامى:

تواطأت أقوال المفسرين القدامى في بيان معنى الآية، وهو أن الله ضرب مثلا للكافر بالبحر اللجي، وهو البعيد القعر الكثير الماء ، يغشاه بعلوه موج وهو ما ارتفع من الماء من فوقه موج متراكم بعضه على بعض من فوق الموج سحاب ، وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر.

يقول الطبري (310هـ): "يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لجي ، ونسب البحر إلى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر"[2].

وقال البغوي (516هـ) رحمه الله: "أراد بالظلمات أعمال الكافر، وبالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه"[3]

وجاءت معاني التشبيه في هذه الآية مفصلة ي كتاب مفاتيح الغيب لصاحبه فخر الدين الرازي (606 هـ)[4].

---

[1] – ابن منظور– لسان العرب – مادة (لجج) – ج :2– ص:355.

[2] – الطبري – جامع البيان– – ج : 18 – ص: 150

[3] – البغوي– معالم التنزيل– ج : 6 – ص: 59 .

[4] – هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي فخر الدين الرازي، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وقد بدت منه في مؤلفاته بلايا وعظائم والله يعفو

أحدها: أن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذا الكافر له ظلمات ثلاثة ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل عن الحسن.

وثانيها: شبهوا قلبه وبصره وسمعه بهذه الظلمات الثلاث عن ابن عباس.

وثالثها: أن الكافر لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ويعتقد أنه يدري ، فهذه المراتب الثلاث تشبه تلك الظلمات.

ورابعها : أن هذه الظلمات متراكمة فكذا الكفار لشدة إصراره على كفره، قد تراكمت عليه الضلالات حتى أن أظهر الدلائل إذا ذكرت عنده لا يفهمها.

وخامسها: قلب مظلم في صدر مظلم.[1]

وأورد القرطبي (671هـ) في تفسيره : "ضرب تعالى مثلا آخر للكفار أي أعمالهم كسراب بقيعة أو كظلمات. قال الزجاج :إن شئت مثل بالسراب ، وإن شئت مثل بالظلمات ف (أو) للإباحة..."[2]. ثم أورد قولا لابن عباس: " هذا مثل قلب الكافر"[3].

وقال أبو حيان (745هـ): "لم ذكر تعالى حالة الإيمان والمؤمنين ، وتنويره قلوبهم ووصفهم بما وصفهم من الأعمال النافعة في الآخرة ، أعقب ذلك بذكر مقابلهم الكفرة وأعمالهم، فمثل لهم ولأعمالهم مثلين: أحدهما: يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة وأنهم لا ينتفعون بها ، والثاني: يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة..."[4].

عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، ومات بهراة يوم عيد الفطر سنة 606هـ .ينظر : الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج :21- ص:500.

[1] - ينظر : الرازي- مفاتيح الغيب- ج : 24 - ص: 09 .

[2] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج : 12 - ص: 283 .

[3] - نفس المصدر – نفس الصفحة.

[4] - أبو حيان - البحر المحيط- ج: 06 – ص: 460.

2 -تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

لقد فسر المحدثون من أهل التفسير الآية بنحو ما فسره القدامى، حيث جاء في الظلال للسيد قطب (1385هـ): "... والتعبير يرسم لحال الكافرين ومآلهم بمشهدين عجيبين، حافلين بالحركة والحياة.

في المشهد الأول: يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة ، يلتمع التماعا كاذبا، فيتبعه صاحبه الظاميء ، وهو يتوقع الري غافلا عما ينتظره هناك. .. يصل فلا يجد ماء يرويه....إلى أن يلقى الله ينتظره فيوفيه حسابه "[1].

ثم ينتقل رحمه الله ليصور المشهد الثاني فيقول : "وفي المشهد الثاني تطبق الظلمة بعد الإلتماع الكاذب، ويتمثل الهول في ظلمات البحر اللجي ، موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض ، حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام!. إنه الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون، وضلال لا يري فيه القلب أقرب علامات الهدي، ومخافة لا أمن فيها ..."[2]

بخلاف من سبق فالشعراوي أشار أن المثل الأول يشمل من كان مرائيا في عمله لا يبتغي به وجه الله[3]، وفسر الثاني بنحو تفسير من سبقوه قائلا : "... هذا مَثَل آخر توضيحي لأعمال الذين كفروا، والبحر اللجي: الواسع الكبير الذي تتلاطم فيه الأمواج، بعضها فوق بعض وفوق هذا كله سحاب إذن: فالظلام مُطبق؛ لأنه طبقات متتالية، وفي أعماق بعيدة، وقد بلغتْ هذه الظلمة حداً لا يرى الإنسان معها حتى يده التي هي جزء منه، فما بالك بالأشياء الأخرى؟ "[4]

[1] - السيد قطب – في ظلال القرآن- ج : 04 - ص: 2521 .

[2] - المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[3] - تفسير الشيخ الشعراوي- ج : - ص: 2803.

[4] - المصدر نفسه – نفس الصفحة.

لقد صورت الآية الكريمة أعمال الكافر ، الجاحد لنعم ربه بظلمات كثيفة متراكمة، لا يستطيع أن يرى من خلالها أقرب شيء إليه وهو يده لو أخرجها أمام بصره، ثم إن هذه الظلمات أدعى إلى الرعب والخوف، وهذا حال من لم يهتدي بهدى الله الذي ارتضاه لعباده.

المطلب الثالث: التفسير العلمي عند المعاصرين

أثبت العلم الحديث الحقائق العلمية التالية:

أولا– الظلمة الأولي تسببها السحب:

إن السحب تعكس وتشتت نحو30 % من أشعة الشمس وتمتص وما بها من بخار الماء وجزيئات الهواء وحبيبات الغبار وغيرها حوالي19% من تلك الأشعة الشمسية المارة من خلالها، مما يشتت حوالي49% من أشعة الشمس, فتحدث قدرا من الظلمة النسبية.[1]

ثانيا – الظلمة الثانية تسببها الأمواج السطحية في البحار والمحيطات .

ما يصل إلي سطح البحار والمحيطات مما تبقي من الأشعة المرئية فان الأمواج السطحية للبحار تعكس5% أخري منها، فتحدث قدرا أخر من الظلمة النسبية في البحار والمحيطات.[2]

ثالثا – الظلمة الثالثة تسببها الأمواج الداخلية فوق قيعان البحار العميقة.

السبب الرئيسي في إحداث الإظلام التام فوق قيعان البحار اللجية هي الأمواج الداخلية في تلك البحار العميقة وغير المتجانسة.[3]

رابعا – اكتشف علماء البحار الاسكندينافيون في عام 1900 إن هناك أمواجاً داخلية في المحيطات غير السطحية المعروفة.

[1] – ينظر : زغلول النجار– تفسير الآيات الكونية– مكتبة الشروق الدولية– ط.1– 1428ه– 2007م– ج 02 ص: 279

[2] – ينظر :المصدر نفسه– ص: 280.

[3] – ينظر :المصدر نفسه– ص: 281

وقد صورت هذه الأمواج في عام 1973 بواسطة الأقمار الصناعية، وطول هذه الأمواج الداخلية يبلغ حوالي 10كم، وسمكها آلاف الأمتار، والمسافة بين الموجة السحيقة والأخرى المجاورة

لها في الأعماق بلغ حوالي 3-4 كم وهذا النوع من الأمواج لا يوجد إلا في المحيطات؛ حيث تبدأ الظلمة على عمق مائتي متر فقط ، وكلما زاد العمق زادت الظلمة حتى تكون الظلمة التامة على عمق 1000 متر ؛ حيث يستحيل وصول ضوء الشمس إلى تلك الأعماق بسبب تراكم طبقات المياه والموج الداخلي والخارجي الذي يسبب انكسار أشعة الشمس وتفرقها وامتصاصها وكذلك الغيوم الكثيفة التي تحجب ضوء الشمس.[1]

خامسا - اكتشف العلم الحديث شيئاً عجيباً لا يحدث إلا في البحار العميقة [2] وهو أن حزمة ألوان الطيف الشمسي إذا أدخلت إلى سطح مياه البحر العميق عمودياً فأنه:

- يختفي اللون الأحمر ويتحول إلى سواد على عمق 10 متر.
- يختفي اللون البرتقالي ويتحول إلى سواد على عمق 30 متر.
- يختفي اللون الأصفر ويتحول إلى سواد على عمق 50 متر.
- يختفي اللون الأخضر ويتحول إلى سواد على عمق 100 متر.
- يختفي اللون الأزرق ويتحول إلى سواد على عمق 200 متر.
- يختفي اللون البنفسجي ويتحول إلى سواد على عمق 500 متر.

ثم يلاحظ بعدها أن اللون الأسود له حركة على عمق 500متر إلى 1000 متر فإذا تحرك أي جسم على هذا العمق لوحظ أن هناك حركة في اللون الأسود فهي إذن طبقات متراكبة وظلم متتالية.

---

[1] - ينظر: عبد الله عبد الرحيم العبادي - العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه - قطر - الدوحة - - دار الثقافة- 1405هـ - 1985م - ص :65-66.

[2] - ينظر: لطيف أحمد عبود- تيسير الرحيم الرحمن في الإعجاز العلمي للقرآن- (د.ط)- (د.ت)- ص :215.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة

إن الآية تتحدث عن ظلمات متراك مة ومتتالية وليست ظلمة واحدة ، وهو ما وضحه أهل التفسير من القدامى والمعاصرين بأعمال الكافر الجاحد لنعم ربه، ومثلوا البحر بقلبه لتلاطم أمواج المعاصي فيه؛ ثم تصف هذه الآية الكريمة مستوى هذا الظلام تحت سطح البحر اللجي : ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾.

ومن إعجاز القرآن أنه لم تكن هذه الآية لتمثل صورة فريدة يشترك الجميع في تخيلها ، فهي تختلف في عمقها بحسب اختلاف ثقافة الناس وعلومهم لنجد فيها صوراً جديدة مغايرة عن الصورة الأولى التي رآها القدامى مستنبطة من العلوم الحديثة المكتشفة تسندها ألفاظ القرآن الكريم التي تتحمل تلك المعاني والصور المذهلة.

فالإشارة إلى تراكم الأمواج والظلمات المتكاثفة في أعماق البحار يستلزم معرفة علمية بالظواهر الخاصة بقاع البح ار والمحيطات، وهي معرفة لم تتح للبشرية، إلا بعد معرفة جغرافية المحيطات، ... بينما البيئة التي نزل فيها القرآن كان تجهل كلية تراكم الأمواج، وظاهرة امتصاص الضوء واختفائه على عمق معين في الماء.

وعلى ذلك فما كان لنا أن ننسب هذا المجاز إلى عبقرية صنعتها الصحراء، ولا إلى ذات إنسانية صاغتها بيئة قارية[1]، فسبحان من علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

[1] – ينظر: – مالك بن نبي – الظاهرة القرآنية – ترجمة عبد الصبور شاهين– سوريا– دمشق– دار الفكر– ط.4– 1420ه– 2000م– ص 356.

المسألة الثانية: البرزخ بين البحرين

الآيات التي ورد فيها ذلك.

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ اجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ۝٥٣ ﴾[2].

المطلب الأول: التفسير اللغوي.

1 –التفسير اللغوي للمرج .

تدور معاني المرج حول الحركة والاضطراب، قال الخليل أحمد (170هـ): "المَرْجُ: أرضٌ واسعة فيها نبْتٌ كثيرٌ تَمْرَجُ فيها الدَّوابُّ، وقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾، أي لاقى بين البحر العَذْب والمِلح قد مرجا فالتقيا، ولا يختلط أحدهما ب آخر ... وأمر مريج أي ملتبس قد مِرَج مرجاً "[3].

[1] – سورة الرحمان– الآية :19–20–21–22..

[2] – سورة الفرقان– الآية :53.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي– العين – مادة (لج) – ج :6– ص:13.

وورد عن ابن فارس (395هـ): "الميم والراء والجيم أصل صحيح يدلُّ على مجيء وذهابٍ واضطراب، ومرج الخاتم في الإصبع: قِلقَ، والمرج: أصله أرضٌ ذات نباتٍ تمرج فيها الدواب..."[1].

وقال ابن منظور رحمه الله تعالى (717هـ): "المَرْجُ الفضاء، وقيل المرج أرض ذات كلأ ترعى فيها الدوابُ... والمرج الخلط، ومرج الله البحرين العذب والملح: خلَطَها حتى التقيا... وقيل خلاّهما"[2].

ذكر اللغويون أن أصل المرج أرض ذات نبات تمرج فيها الدواب، ومنه أطلق المرج على الحركة والاضطراب مجيئا وذهابا، ومرج الله البحرين العذب والملح: خلَطَها حتى التقيا.

2 -التفسير اللغوي للبرزخ.

يتفق أهل اللغة في بيان المعنى اللغوي للبرزخ فقد ورد في الصحاح: " البرزخ الحاجز بين الشيئين وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ"[3]

وفي مقاييس اللغة : "... ومما فيه حرف زائد (البَرْزَخ) الحائل بين شيئين، كأن بينهما بَرَازاً أي مُتسعاً من الأرض، ثم صار كلُّ حائلٍ بَرْزَخاً. فالخاء زائدة "[4]

وجاء في اللسان عن البرزخ : "البَرْزَخُ ما بين كل شيئين ، وقيل أي حاجز خفي... والبرزخ والحاجز والمُهلة متقاربات في المعنى، وذلك تقول بينهما حاجزٌ أن يتَزاورَا، فتنوي بالحاجز المسافة البعيدة، وتنوي الأمر المانع مثل اليمين والعداوة، فصار المانع في المسافة كالمانع من الحوادث فوَقَعَ عليها البَرْزَخُ"[5].

---

[1] – ابن فارس – مقاييس اللغة- مادة (مرج) - ج:5- ص:315.

[2] – ابن منظور- لسان العرب - مادة (مرج) - ج:2- ص:366.

[3] – الجوهري- الصحاح – مادة (برزخ) - ج: 1 - ص: 419.

[4] – ابن فارس – مقاييس اللغة- مادة (برزخ) - ج:1- ص:333.

[5] – ابن منظور- لسان العرب - مادة (برزخ) - ج:3- ص:08.

مما سبق فالبرزخ في اللغة يعنى به الحاجز بين شيئين، وقد يكون حسيا أو معنويا.

3 –التفسير اللغوي للمرجان واللؤلؤ.

عرف اللغويون اللؤلؤ والمرجان بذكر فوارق بينهما، منها ما خص بالحجم، ومنها ما خص بشدة الإضاءة.

أ– التفسير اللغوي للمرجان

جاء في الصحاح: "المرجان: صغار اللؤلؤ"[1]

وجاء في اللسان: "المرجان صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخرج من الصدفة، والمرجان أَشد بياضاً ولذلك خص الياقوت والمرجان فشبه حور العين بهما."[2]

ب– التفسير اللغوي للؤلؤ.

جاء في مقاييس اللغة : "وأما اللام والهمزة فيدلُ على صفاء وبريق من ذلك تلألأت اللؤلؤة، وسّميت لأنها تلألأ ؛ والعرب تقول "لا أفعله ما لألأت الفُر بأذنابها " أي ما حركتها ولمعت بها "[3].

يختلف اللؤلؤ عن المرجان حسب ما ذكره اللغويون بما يلي:

1– الحجم: المرجان صغار اللؤلؤ.

2– شدة الإضاءة: المرجان أَشد بياضاً من اللؤلؤ.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

1– تفسير الآية عند القدامى:

اتفق أهل التفسير في معنى البرزخ، واختلفوا في المراد بالمرجان واللؤلؤ ومكان خروجهما تبعا لاختلافهم في المقصود بالبحرين.

---

[1] – الجوهري- الصحاح – مادة (مرج) – ج: 1 – ص: 341.

[2] – ابن منظور- لسان العرب – مادة (مرجن) – ج :13- ص:406.

[3] – ابن فارس – مقاييس اللغة- مادة (لأ) – ج :5- ص:199

أ- بيان المراد بالبرزخ والبحرين.

قال الطبري (310هـ): "يعني بقوله: (مرج): أرسل وخلى، من قولهم: مرج فلان دابته: إذا خلاها وتركها. قال ابن عباس: مرج البحرين أرسل ".[1]

ثم أورد بعد ذلك اختلاف أهل العلم في تأويل المراد بالبحرين قائلا: " واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية، أي البحرين هما؟ فقال: بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض.... وقال آخرون: عني بذلك بحر فارس وبحر الروم"[2].

وأما في معنى قوله تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ فقال الإمام الطبري :" بينهما حاجز وبعد، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب وما بين الدنيا والآخرة برزخ"[3]

وقال البغوي (516هـ): "﴿مرج البحرين﴾ العذب والمالح أرسلهما وخلاهما، بينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه. وقال قتادة : لا يطغيان على الناس بالغرق."[4]

وبعد أن بين المراد بالمرج، أورد خلاف أهل العلم في المراد بالبحرين قائلا:

"وقال الحسن": مرج البحرين "بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما . وعن قتادة أيضا: بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ، وقال مجاهد: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام "[5]

وقال أبو حيان (745هـ):"والظاهر التقاؤهما، أي يتجاوران، فلا فصل بين الماءين في رؤية العين برزخ : (أي حاجز من قدرة الله تعالى) لا يبغيان : (لا يتجاوزان حدهما، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة). "[1]

---

[1] - الطبري - جامع البيان- ج : 23 - ص: 30

[2] - المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

[3] - المصدر نفسه - ص: 31

[4] - البغوي- معالم التنزيل – ج : 07 - ص: 445 .

[5] - المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

وقال الشوكاني (1225هـ): "...يلتقيان: أي يتجاوران لا فصل بينهما في مرأى العين ومع ذلك فلم يختلطا، ولهذا قال: بينهما برزخ أي حاجز يحجز بينهما لا يبغيان، أي لا يبغي أحدهما على الآخر بأن يدخل فيه ويختلط به ".

اتفق أهل العلم القدامى في تفسير البرزخ بالحاجز والفاصل بين البحرين ، واختلفوا في تأويل البحرين إلى أقوال كثيرة منها :أنهما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض ، وهذا مروي عن مجاهد والضحاك ومنها : بحر فارس وبحر الروم، وهو مروي عن قتادة ، ومنها : العذب والمالح، ومنها : بحر الروم وبحر الهند وبه قال الحسن.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

اتفق المحدثون من أهل العلم في بيان المراد بالبحرين والبرزخ بينهما بخلاف القدامى، قال صاحب الظلال (1385هـ): ". .. والبحران المشار إليهما هما البحر المالح والبحر العذب ، ويشمل الأول البحار والمحيطات، ويشمل الثاني الأنهار، ومرج البحرين أرسلهما وتركهما يلتقيان، ولكنهما لا يبغيان ، ولا يتجاوز كل منهما حده المقدر ، ووظيفته المقسومة ، وبينهما برزخ من طبيعتهما من صنع الله..."[2].

وقال بن عاشور (1394هـ): "و المراد بتثنية نوعي البحر وهما البحر الملح والبحر العذب"[3].

واستشهد بقوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ اجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَاكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَه تَلْبَسُونَهَاً وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[1]

[1] - أبو حيان - البحر المحيط- ج: 08 - ص: 192.

[2] - السيد قطب- في ظلال القرآن- ج : 06 - ص :3453

[3] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج : 28 - ص :248.

ب- بيان المراد باللؤلؤ والمرجان، ومكان خروجهما.

1. تفسير الآية عند القدامى:

قال الطبري (310هـ) رحمه الله: "اختلف أهل التأويل في صفة اللؤلؤ والمرجان، فقال بعضهم: اللؤلؤ: ما عظم من الدر، والمرجان: ما صغر منه"[2]

2. تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

قال القاسمي (1332هـ): "إنما قيل "منهما" مع أنه يخرج من أحدهما، وهو الملح، لأنه لامتزاجهما يكون خارجاً منهما حقيقة ، أو أنه نسب لهما ما هو لأحدهما، كما يسند إلى الجماعة ما صدر من واحد منهم... "[3].

وقال الطاهر بن عاشور(1394هـ): "... إن كان المراد بالبحرين: بحرين معروفين من البحار الملحة تكون من في قوله منهما ابتدائية لأن اللؤلؤ والمرجان يكونان في البحر الملح ، وإن كان المراد بالبحرين: البحر الملح، والبحر العذب كانت من في قوله منهما للسببية، أي يخرج اللؤلؤ والمرجان بسببهما، أي بسبب مجموعهما"[4].

اختلف أهل التأويل المحدثين في بيان وصف اللؤلؤ والمرجان كاختلاف القدامى في ذلك؛ غير أنهم في بيان المراد بالبحرين ، أبعدوا كثيرا من تأويلات القدامى، واقتصر خلافهم في إبراز نوع البحرين. هل المراد بهما الملحين معا، أو الملح والعذب؟.

---

[1] - سورة : الفرقان- الآية : 53 .

[2] - الطبري- جامع البيان - ج : 23 - ص: 31 .

[3] - القاسمي- محاسن التأويل- دار إحياء الكتب العربية- ط.1- 1386ه -1957م- ج : 15 -

[4] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج :28 - ص :250

المطلب الثالث: التفسير العلمي عند المعاصرين.

أثبت العلم الحديث الحقائق التالية:

أولا: وجد أن خصائص المياه في باب "المندب" تختلف عن خصائص كل من البحرين الملتقين عنده، وأن الحاجز فيه يتحرك بالمد والجزر والرياح فهو مرج بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ومع هذا لا يبغي ماء الأول على الماء الثاني[1].

والتحليل العلمي لظاهرة البرازخ يرجع إلى أن مياه كل بحر تغاير مياه البحار الأخرى في صفاتها الكيميائية من حيث درجة الحرارة والكثافة والملوحة ؛ بل أنها تختلف حتى في الكائنات الموجودة فيها مما يمنع اختلاط المياه والكائنات مع بعضها عند التقاء البحرين ، وإذا حدث وكان هناك مداً أو ريحاً عاصفة ، فإن يسيراً من مياه أحد البحرين يطفو على مياه البحر الأخر وعند التقاء هذه المياه تنتقل معها أحياؤها وبعد أن يزول سبب انتقالها تعود أدراجها إلى موقعها حاملة معها أحيائها[2].

وتظهر صورة هذا العزل للكتل المائية المتجاورة بشكل أوضح بين البحار شبه المغلقة كالبحرين الأبيض المتوسط والأحمر، حينما يتحرك الماء من أحدهما إلي المحيط المجاور فيتكون بينهما ماء له صفات وسطية يفصل كلا من الكتلتين المائيتين فصلا كاملا.

ثانيا:

1. اللؤلؤ: عبارة عن كريات صلبة ناعمة من كربونات الكالسيوم ، لها بريق وتقوز لوني مبهج، تنمو بداخل أصداف طائفة خاصة من قبيلة الرخويات تعرف باسم مزدوجات المصراع ،

[1] – ينظر: عزت محمد خيري – دلائل الحق في عظمة الخالق– المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– مصر– القاهرة– (د.ط)– 1972م – ص : 65.

[2] – ينظر: أحمد محمود سليمان – القرآن والطب– لبنان– بيروت– دار العودة– (د.ط)– (د.ت)– ص :41.وينظر :محمد الشعراوي– يسألونك في الدين والحياة– مصر– القاهرة– المكتبة التوفيقية– (د.ط)– (د.ت)– ج : 01 – ص : 219.

وهي حيوانات مائية تعيش في كل من الماء الملح والماء العذب ، ويستخدم اللؤلؤ كأحدي الجواهر النفيسة[1].

2. **المرجان:** هو حيوان بحري لا يحيا إلا في الماء الملح ، ويتبع طائفة الزهريات ، وهي من طوائف قبيلة جوفيات المعي التي غالبا ما تعيش في مستعمرات كبيرة إلا أن منها ما يحيا حياة فردية، ويفرز الفرد منها هيكلا كلسيا، وتكون هياكل المستعمرات الكبيرة شعابا ضخمة تعرف باسم الشعاب المرجانية، وتكثر في البحار الضحلة الدافئة.[2]

[1] – ينظر : زغلول النجار– تفسير الآيات الكونية– ج : 04 – ص : 52.

[2] – ينظر : المصدر نفسه– نفس الصفحة.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

يأتي المرج في اللغة بمعنى الخلط وهو ما فسر به القدامى من أهل العلم والمحدثون الآية السابقة من خلط مياه العذبة بالمياه المالحة دون امتزاجها ، وتأتي أيضاً بمعنى خلط مياه البحرين الملحين دون امتزاجهما كما ذكر في مياه باب المندب.

أما المعنى الثاني للمرج فيدل على مجيء وذهاب واضطراب كما ذكر ابن فارس في مادة مرج، وهذا ما يطابق حال هذا الحاجز الذي ذكر في باب المندب حيث يلتقي البحر الأحمر بالمحيط الهندي، حيث وجدوا أن هناك خطاً واحداً يفصل بين الماءين.

ولكن هذا الخط أو الحاجز غير ثابت فمرة يذهب إلى الشرق ومرة إلى الغرب حسب هبوب الرياح الموسمية؛ وإذا حدث مد عاد الحاجز إلى وضعه الأول وإذا حدث جزر تحرك الحاجز ذهاباً وإياباً واضطرب) فهذا الحاجز غير ثابت فهو مضطرب، كما في (مرج) الدالة على الذهاب والإياب والاضطراب.

بالمقارنة بين التفسير اللغوي وتفسير أهل العلم من القدامى والمحدثين من جهة، وحقائق العلم الحديث من جهة أخرى يتبين التطابق التام في المدلولين.

أما في قوله تعالى (البحرين) جاءت على تثنية كلمة (بحر) وقد ذكر اختلاف أقوال المفسرين في هذه الآية فمنهم من يرى أن المقصود بهما البحر العذب والملح ، ومنهم من يرى مرج الملح بالملح؛ وقد خصص بعضهم ذلك ببحر الروم وبحر فارس كما ذكر والذي يبدو والله أعلم بمراده أن المقصود بهما الملحان ، دون التقاء الملح بالعذب وذلك بدلالة السياق المتأخر للسورة وهو قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) والمرجان موجود في البحار المالحة دون العذبة بدليل ما أثبته العلم الحديث.

بالمقارنة بين التفسير اللغوي وتفسير أهل العلم من القدامى والمحدثين من جهة وحقائق العلم الحديث من جهة أخرى يمكن استخلاص ما يلي:

- يمكن عدم التعويل على رأي من قال أن البحرين هما بحر الأرض والسماء.

- يمكن عدم التعويل على رأي من قال أن البحرين هما الملح والعذب، بدلالة السياق المتأخر للسورة وهو قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فالمرجان موجود في البحار المالحة دون العذبة.

- البحران المراد بهما من خلال الآية والله أعلم أنهما ملحان.

- اعتبار السياق القرآني والدليل العلمي قرينة مرجحة بين أقوال المفسرين الاجتهادية.

الفصل الثالث:

المعاني والإشارات القرآنية المتعلقة بالمجموعة الشمسية

- **المبحث الأول: تفسير الآيات المتعلقة بالشمس**
  - ✓ المسألة الأولى: حركة الشمس
  - ✓ المسألة الثانية: الشمس لا تدرك القمر
- **المبحث الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بالقمر**
  - ✓ المسألة الأولى: المراد بمنازل القمر
  - ✓ المسألة الثانية: الفرق بين ضياء الشمس ونور القمر
- **المبحث الثالث: تفسير الآيات المتعلقة بالنجوم**
  - ✓ المسألة الأولى: النجم الثاقب
  - ✓ المسألة الثانية: مواقع النجوم
  - ✓ المسألة الثالثة: معنى الخنس والجوار الكنس

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون الذي أبدعه الفاطر سبحانه، و إلى صور من نشأته ، ومراحل تكونه ، و إلى العديد من الظواهر الكونية التي زينه بها ليدل على جلال وجمال مبدعه ، وعلى قدرة وسلطان وعزة منشئه ؛ ومن هذه الظواهر الكونية الجمالية والتي ستكون محل الدراسة في هذا الفصل؛ مصابيح السماء التي تزينها في حلة ساحرة ؛ تسحر القلوب قبل العيون، ولا يملك الناظر إليها بعين التأمل والتدبر إلا أن يقول سبحان من أوحى إلى عبده ورسوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[1].

[1] سورة : فصلت- الآية : 06.

المبحث الأول: الإشارات والمعاني القرآنية المتعلقة بالشمس

المسألة الأولى: حركة الشمس

الآية التي ورد فيها ذلك قال الله تبارك تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي لألفاظ الآية.

1- التفسير اللغوي للشمس.

اتفق علماء اللغة في بيان المعنى اللغوي للشمس، فقال الجوهري رحمه الله (393 هـ): "جمع (الشمس شُمُوس) كأنهم جعلوا كل ناحية منها شَمْساً، كما قالوا لِلَمفْرِق مَفارق. وتصغيرها (شُمَيْسة) "[2]

وقال ابن فارس (395 هـ): "الشين والميم والسين أصلٌ يدلُ على تلوُّن وقلة استقرار ؛ فالشمس معروفة وسِّميت بذلك لأنها غير مستقرة، وهي أبداً متحركة "[3]

وقال ابن منظور (711 هـ): " الشمس:...جمعها شموس، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمسا...قال الليث: الشمس عين الضح، أراد أن الشمس هو العين التي في السماء تجري في الفلك وأن الضح ضوءه الذي يشرق على وجه الأرض..."[4].

الشمس في اللغة هي عين السماء التي تجري في الفلك، وتشرق على وجه الأرض، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، وهي أبداً متحركة.

---

[1]- سورة :يس- الآية :37 .

[2] - الجوهري- الصحاح – مادة (شمس) - ج: 03- ص: 940.

[3] - ابن فارس- مقاييس اللغة - مادة (شمس) - ج: 03 - ص: 212.

[4] - ابن منظور- لسان العرب- مادة (شمس) - ج: 08 - ص: 131.

2- التفسير اللغوي للجري.

تدور معاني الجري في اللغة حول المر السريع ، جاء في الصحاح : "جرى الماء وغيره من باب رَمى... وما أشدُّ جِرية هذا الماء بالكسر ؛ والجارِيةُ: الشمسُ. والجاريةُ: السفينةُ، وجاراهُ مُجاراةً وجِراءً، أي جَرى معه، وجاراهُ في الحديث، وتَجارَوا فيه. والجَريُّ: الوكيلُ والرسولُ..."[1]

وفي مقاييس اللغة: "الجيم والراء والياء يدل على أصلٌ واحدُ، وهو انسياحُ الشيء، يقال جَرى الماء يجري جَرية وجرياً؛ فأما السفينة فهي جارية، وكذلك الشمس".[2]

وجاء في فقه اللغة وسر العربية:" أن مشي الفرس يسمى جرياً بخلاف عدوه عند تقسيمه لمشي الإنسان والحيوان وتفريقه بين المشي والعدو[3].

وورد في المفردات:" الجري المر السريع، وأصله كمر الماء" [4]

3- التفسير اللغوي للمستقر.

اتفق علماء اللغة في بيان المعنى اللغوي للمستقر، قال الخليل (170هـ): "القرار المُستَقُّر في الأرض وفلان قار أي ساكن"[5].

وقال الجوهري (393هـ): "والقرار في المكان الاستقرار وقاره مُقارّه ، أي قرّ معه وسكَن وأقره في مكانه (فأستقر) "[6].

وقال ابن منظور(711هـ): "والقر بالضم: القرار في المكان تقول منه :قررت بالمكان بالكسر أقر قرارا ، وقررت أيضا بالفتح أقر قرارا وقرورا وقر بالمكان يقر ، والأولى أعلى"[7]

---

[1] – الجوهري- الصحاح – مادة (جرى) - ج: 06- ص: 230.

[2] – ابن فارس- مقاييس اللغة - مادة (جرى) - ج: 01 - ص: 448.

[3] – أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي- فقه اللغة وسر العربية – القاهرة- مطبعة الاستقامة- (د.ط)، (د.ت)- ص283.

[4] – الراغب - المفردات في غريب القرآن- مادة (جرى) - ص: 230.

[5] – الخليل- العين – مادة (قر) - ج :5- ص:26.

[6] – الجوهري- الصحاح – مادة (قرر) - ج: 02- ص: 789.

[7] – ابن منظور- لسان العرب- ج: 12 - ص: 68.

مما سبق من أقوال أصحاب المعاجم فان المستقر يأتي في اللغة بمعنى القرار في المكان.

المطلب الثاني:

1- تفسير الآية عند القدامى:

اختلفت أقوال المفسرين في بيان معنى مستقر الشمس إلى أقوال كثيرة يساق منها ما يلي :

قال البغوي (516هـ) رحمه الله في معنى إلى مستقر لها : " أي : إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزه، وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء. "[1]

وأورد القرطبي (671هـ) في تفسيره[2] حديثين لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبين فيهما معنى الآية:

- سأل أبو ذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قوله عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ قال: (مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ)[3].

- عن أبي ذر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوما: (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَتَدْرُونَ مَتَى

[1] – البغوي– معالم التنزيل – ج : 7– ص: 18 .

[2] – ينظر : الجامع لأحكام القرآن– ج : 15 – ص: 27 .

[3] – رواه البخاري– كتاب التفسير– باب والشمس تجري لمستقر لها– رقم : 4803– ص: 1208.

ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنَ ـ امَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيَ إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾[1])[2].

وقال الشوكاني (1225هـ): "والمراد بالمستقر: يوم القيامة، فعنده تستقر ولا يبقى لها حركة "[3]، ثم أورد رحمه الله أقوال مختلفة لأهل العلم فقال : " مستقرها هو أبعد ما تنتهي إليه ولا تجاوزه، وقيل: نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء، وقيل: مستقرها تحت العرش، لأنها تذهب إلى هنالك فتسجد فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وهذا هو الراجح. "[4]

يمكن إجمال المراد بمستقر الشمس عند القدامى فيما يلي:

انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة؛ أو تسير هذه الشمس حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها.

ومن معاني مستقرها كذلك نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء؛ وذكر بعضهم أن المراد بذلك مستقرها تحت العرش.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

لقد وظف بعض المحدثين من أهل التأويل معارف وعلوم عصرهم في بيان معنى الآية ويتضح ذلك جليا عند السيد قطب رحمه الله، حيث يقول: " والشمس تدور حول نفسها. وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها ، ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها. إنما هي تجري فعلاً ، تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها

[1] – سورة : الأنعام– الآية : 158.

[2] – رواه مسلم– كتاب الإيمان– باب الزمان الذي لا يقبل فيه الإيمان – رقم:159– الرياض– طيبة للنشر– ط.1– 1427هـ– 2006م– ص:82

[3] – الشوكاني – فتح القدير– ج : 1 – ص: 1223 .

[4] – المصدر نفسه– ص: 1223.

الفلكيون باثني عشر في الثانية! والله ربها الخبير بها وبجرياها وبمصيرها يقول: إنها تجري لمستقر لها. هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه. ولا يعلم موعده سواه "[1].

ويقول الطاهر بن عاشور(1394هـ): "واللام في لمستقر يجوز أن تكون لام التعليل على ظاهرها، أي تجري لأجل أن تستقر، أي لأجل أن ينتهي جريها كما ينتهي سير المسافر إذا بلغ إلى مكانه فاستقر فيه، وهو متعلق بـ "تجري "على أنه نهاية له لأن سير الشمس لما كانت نهايته انقطاعه نزل الانقطاع عنه منزلة العلة "[2].

ويقول أيضا رحمه الله: "ويجوز أن تكون اللام بمعنى إلى ، أي تجري إلى مكان استقرارها وهو مكان الغروب، شبه غروبها عن الأبصار بالمستقر والمأوى الذي يأوي إليه المرء في آخر النهار بعد الأعمال "[3]، وبنحوه يقول الدكتور وهبة الزحيلي : "ومستقرها كناية عن غيوبها أو آخر مطالعها."[4]

اختلف المحدثون من أهل التفسير في المراد بمستقر الشمس؛ فذكر بعضهم أن هذا المستقر غيبي لا يعلمه إلا الله، وذكر آخرون أنه مكان غروبها أو آخر مطالعها.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر .

لقد أثبت العلم الحديث الحقائق العلمية التالية :

1- ان الشمس تقوم بأربع حركات في وقت واحد فهي تدور حول محورها بسرعة اثنتي عشر ميلاً في الثانية، وتنطلق مع كواكبها نحو نقطة بين الجاثي واللورا بسرعة 12 ميلا في الثانية،

[1] – السيد قطب – في ظلال القرآن – ج : 05 – ص :2968.

[2] – الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير– ج : 24– ص :20

[3] – المصدر نفسه – ص : 21 .

[4] – وهبة الزحيلي– التفسير الوسيط– سورية– دمشق– دار الفكر– ط.1– 1422ه– 2001م– ج : 03 –ص :2151

وتشارك في دوران المجرة حول نفسها بسرعة 120 ميلاً في الثانية ، ثم هي أخيراً تجري ضمن انطلاق موكب المجرة في الفضاء بسرعة 6000-40000 ميل في الثانية[1] .

ووفقا لهذه الحقائق العلمية الحديثة ؛ حمل العلماء المسلمون الفلكيون جري الشمس المراد في الآية على حركاتها المذكورة سابقا.

2- أثبت علماء الفلك أن الشمس تسبح في الفضاء إلى الوقت الذي ينفد فيه وقودها فتنطفئ[2].

وهذا هو أحد المعاني العلمية الذي أعطاه العلماء الفلكيون المسلمون لمستقر الشمس الوارد في الآية القرآنية الكريمة.

[1] – ينظر :شاكر عبد الجبار– القرآن إعجاز يتعاظم – بغداد – مطبعة الحوادث – ط.1– 1985م– ص : 125.

[2] – ينظر :زغلول النجار– تفسير الآيات الكونية–

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

اختلف المفسرون في قوله تبارك وتعالى (تَجْرِي) باعتبار الحقيقة والمجاز لجري الشمس فمنهم من حمل جريان الشمس على المجاز على اعتبار أن الأرض هي التي تدور حول الشمس ومنهم من حمل الجريان على الحقيقة، كمن فسر الآية تفسيراً علمياً لجريان الشمس الذاتي كما تم إيضاحه عند ذكر حركات الشمس الأربع.

واختلف أهل اللغة والتفسير في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز ؛ ومن أهل العلم الذين جوزوا الجمع الشيخ الطاهر بن عاشور[1]

ومن إعجاز التعبير القرآني في قوله (تَجْرِي) أنه يخاطب الإنسان مهما كان مستواه العلمي من البسيط إلى المثقف فللعالم، بحيث يكون بمقدور الجميع الفهم والاعتبار.

فالتطابق بين (حقيقة جريها في الفضاء) و (الجري) الظاهري لها من مشرقها إلى مغربها للعين البشرية[2]، فيه عبرة وهدى للجميع، وكذا تحقيق صدق الخبر الكوني القرآني حرفياً. فكان بذلك معجزة علمية كبرى في القرآن.[3]

وأورد أهل العلم فيها قراءات، فقد قرئ: تجري إلى مستقر لها [4]، وقرئ كذلك" (لا مستقرٍ لها[5] فلا تنفي الجنس وبناء مستقر على الفتح ، فيقتضي انتفاء كل مستقر وذلك في الدنيا التي هي تجري دائماً فيها لا تستقر"[6]

---

[1] – ينظر : الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير– ج : 01– ص: .95.

[2] – ينظر :محمد عبد الله الشرقاوي– الكون والقرآن– القاهرة– مكتبة الزهراء– (د.ط)– (د.ت)– ص: 185.

[3] – ينظر :شاكر عبد الجبار– القرآن إعجاز يتعاظم – بغداد – مطبعة الحوادث – ط.1– 1985م– ص : 125.

[4] – الزمخشري– الكشاف– ج : 03– ص: 799.

[5] – ينظر: ابن جني– المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها – ت: علي الجندي –(د.ط)– 1969م– ج: 02– ص:212.

[6] – المصدر نفسه– نفس الصفحة.

وقرئ (لا مستقر) بلا النافية للجنس؛ وهذا معلوم كما جاء في العلم أن الشمس تدور بدون توقف حول محورها وحركتها السنوية وحول المجرة، وكما قال الله تبارك تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾"[1] وقد ذكر صاحب كتاب العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه أن الشيء الطريف في القراءتين (لا مستقر لها) و(لمستقر لها) أن العلم يو افقهما فيرى أن الشمس تدور حول نفسها في 25 يوماً تقريباً وذلك يعني أن ليس لها مستقر في هذه الدنيا فهي دائماً في حركة مستمرة في الفضاء، إلى أن تنتهي الحياة عن العمل ولا تعارض بين معنى القراءتين[2].

وعلى هذا الاعتبار فالقراءة (لمستقر) تصلح ليوم القيامة ، وهو يوافق التفسير العلمي القائل بأن الشمس تسبح في الفضاء إلى الوقت الذي ينفد فيه وقودها فتنطفئ ، والقراءة (لا مستقر لها) تصلح لهذه الدنيا.

[1] سورة : ابراهيم- الآية : 31.

[2] ينظر : عبد الله عبد الرحيم العبادي –العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه –– قطر – الدوحة - دار الثقافة- ط.1- 1405هـ – 1985م - ج : 01- ص: .104.

المسألة الثانية: الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر.

الآية التي ورد فيها ذلك:

قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي لألفاظ الآية.

1- التفسير اللغوي لينبغي.

ذكر أصحاب المعاجم أن فعل " ينبغي" من أفعال المطاوعة، فقد جاء في الصحاح: "...تقول: ما ينبغي لك أن تفعل كذا، وهذا من أفعال المطاوعة، تقول بَغَيْتُ فانبغى كما تقول كسرته فانكسر". [2]

وورد في المفردات: " أن قولهم ينبغي مطاوع بَغَى، فإذا قيل ينبغي أن يكون كذا فيقال على وجهين: أحدهما ما يكون مسخراً للفعل نحو: النار ينبغي أن تحرق الثوب. والثاني على معنى الاستئهال نحو: فلان ينبغي أن يُعْطِي لكرمه " [3]

وجاء في لسان العرب: " وما ينبغي له وما يَصْلحُ له... وما ينبغي لك أن تفعل أي لا نَوْلك"[4]، وفيه أيضاً أن معنى (انبغى الشيء): تيسر وتسْهل "[5].

مما سبق ففعل "ينبغي" يرد في اللغة على وجهين : ما يكون مسخراً للفعل ، وما يجيء بمعنى الإستأهال.

---

[1] – سورة يس– الآية :38

[2] الجوهري– الصحاح – مادة (بغى) – ج: 06– ص: 281.

[3] الأصفهاني– المفردات– مادة (بغى) – ص: 230.

[4] لسان العرب – مادة (بغى) – ج:14– ص:75.

[5] المصدر نفسه– مادة (درك)– ج:05– ص:249.

2- التفسير اللغوي للدرك.

اتفق أهل اللغة في بيان معنى الدرك، فقد ذكر الخليل (170هـ) أن: "الدَّرَكُ إدْراكُ الحاجةِ والطّلْبْة... والَّدرَكُ اللَّحْقُ في التَّبِعة".

وقال الجوهري(393هـ) في الصحاح:" يقال مشيتَ حتى أدركتَهَ وعشتَ حتى أدركْتُ زمانه، وأدركتُه ببصَرَي أي رأيتهُ واسْتَدْرَكْتُ ما فات وتَدارَكْتُهُ، بمعنىً .وتَدارَكَ القومُ، أي تلاحقوا"[1]

وقال ابن فارس رحمه الله (395هـ): "الدال والراء والكاف أصل واحد، وهو لُحوق الشَّيء بالشيء ووصَوله إليه. يقال أدركتُ الشيء أدرِكُه إدراكا. ويقال فرس دَرَك الطريدة، إذا كانت لا تفوتهُ طريدة"[2]

وقال ابن منظور(711هـ):" الدرك : اللحاق ، وقد أدركه ، ورجل دراك : مدرك كثير الإدراك... وتدارك القوم : تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم ... والإدراك : اللحوق . يقال : مشيت حتى أدركته وعشت حتى أدركت زمانه..."[3]

إن الدرك في اللغة يدور حول معنى اللحاق، وأدركت فلانا أي لحقته.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

تفسير الآية عند القدامى:

اختلف أهل التفسير في بيان المراد بالآية إلى معان كثيرة :

قال البغوي (516هـ) رحمه الله تعالى : "أي : لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه ، وهو قوله تعالى ﴿وَلاَ ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾[1] أي: هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته "[2]

[1] – الخليل– العين – مادة (درك) – ج:5– ص:327.

[2] – الجوهري– الصحاح – مادة (درك) – ج: 04– ص: 1582.

[3] – ابن فارس– مقاييس اللغة – مادة (درك) – ج: 02 – ص: 268..

وذكر القرطبي(671 هـــ) ما نصه : "وقد تكلم العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناها أن الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه. أي: لكل واحد منهما سلطان على حياله، فلا يدخل أحدهما على الآخر فيذهب سلطانه، إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، فتطلع من مغربها "[3]

وقال كذلك: "و قيل: إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء. روي معناه عن ابن عباس والضحاك. وقال مجاهد: أي: لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر. وقال قتادة :لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه ، إذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا "[4].

ويضيف معان أخرى فيقول : " وقال يحيى بن سلام: لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة، لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها. وقيل: معناه إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها، قاله ابن عباس أيضا. وقال المهدوي : القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة ، فهي لا تدركه ، .قال النحاس :وأحسن ما قيل في معناها: أن سير القمر سير سريع ، والشمس لا تدركه في السير."[5].

أورد ابن كثير(774هـــ) في تفسيره أقوالا مختلفة لأهل العلم فأورد أقوالا للتابعين قائلا " وقوله: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر : قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا .

وعن الحسن قال: ذلك ليلة الهلال ؛ وقال عكرمة : يعني: أن لكل منهما سلطانا، فلا ينبغي

---

[1] – سورة يس– الآية :38 .

[2] – البغوي– معالم التنزيل–– ج :7– ص:19.

[3] – القرطبي – الجامع لأحكام القرآن– ج : 15– ص: 32 .

[4] – المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[5] – المصدر نفسه– ص: 33.

للشمس أن تطلع بالليل." [1]، وذكر أقوالا أخرى عن أئمة أعلام فقال رحمه الله : " وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: إن للريح جناحا ، وإن القمر يأوي إلى غلاف من الماء ، وقال الثوري :لا يدرك هذا ضوء هذا، ولا هذا ضوء هذا "[2].

بعد عرض التفاسير المذكورة في بيان مفهوم الآية ، يمكن القول أن المفسرين القدامى على أربع فرق من معناها تبعا للزاوية التي ينظر منها كل مفسر لعدم درك الشمس للقمر.

الفريق الأول: نظر إلى سلطان ضوء كل من الشمس والقمر؛ وعليه فانه لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه ؛ أو إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء ، لأنه لا يشبه ضوء أحدهما الآخر .

الفريق الثاني:نظر إلى سرعة كل واحد منهما ، والسرعتان مختلفتان متمايزتان ؛ وعليه فلا يمكن للشمس أن تدرك القمر ، لأن سير القمر سير سريع، والشمس لا تدركه في السير.

الفريق الثالث:نظر إلى موضع وموقع كل منهما بالنسبة للآخر ، فالشمس لها مترل خاص ، وللقمر مترل خاص به كذلك ، أي لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه ، فإذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها.

الفريق الرابع : نظر إلى موضع وموقع كل منهما بالنسبة للسماوات، ف القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة، فهي لا تدركه.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

لقد استبعد المحدثون من أهل التأويل كثيرا من أقوال القدامى في تفسير هذه الآية، ففي ظلال القرآن ورد ما نصه: "... ولكل نجم أو كوكب فلك، أو مدار، لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه. والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة. فالمسافة بين أرضنا هذه وبين الشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال؛ والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتي ألف من

[1] ابن كثير – تفسير القرآن العظيم - ج: 06 - ص: 579.

[2] المصدر نفسه – نفس الصفحة.

الأميال"[1] وجاء فيه أيضا: " وقد قدر الله خالق هذا الكون الهائل أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب ؛ ووضع تصميم الكون على هذا النحو ليحفظه بمعرفته من التصادم والتصدع حتى يأتي الأجل المعلوم فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر "[2].

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: "... فمعنى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر نفي انبغا ذلك، أي : نفي تأتيه ؛ لأن انبغى مطاوع بغى الذي هو بمعنى طلب ، فانبغى يفيد أن الشيء طلب فحصل للذي طلبه، يقال: بغاه فانبغى له، فإثبات الانبغاء يفيد التمكن من الشيء فلا يقتضي وجوبا، ونفي الانبغاء يفيد نفي إمكانه ولذلك يكنى به عن الشيء المحظور . يقال : لا ينبغي لك كذا ... "[3].

وذكر في أيسر التفاسير ما مفاده: " لا يسهل على الشمس ولا يصح منها أن تدرك القمر فيذهب نوره، بل لكل سيره فلا يلتقيان إلا نادرا في جزء معين من الأفق فيحصل خسوف القمر وكسوف الشمس"[4]

يلاحظ على أهل التفسير المعاصرين استعمال لغة العلم الحديث في تفاسيرهم زيادة في إيضاح المعاني كالسيد قطب والجزائري، وأن تفاسيرهم تتواطأ في عدم إدراك الشمس للقمر تبعا لموع ومترل كل واحد منهما بالنسبة للآخر.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر .

أثبت العلم الحديث الحقيقة العلمية التالية:

لا يمكن أن تدرك الشمس القمر ولا يمكن أن يتلاقيا لأن كلاً منهما يجري في مدار موازٍ للآخر فيستحيل أن يتقابلا لأن الخطين المتوازيين لا يلتقيان أبداً "[1]، وهو ما أشارت إليه الآية

[1] – السيد قطب – في ظلال القرآن – ج : 05 – ص :2969

[2] – المصدر نفسه – نفس الصفحة .

[3] – الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير– ج : 24– ص :20

[4] – أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير– ج : 03– ص :117.

القرآنية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ لاَ ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾.وقد ربط علماؤنا الفلكيون هذه الحقيقة بالآية الكريمة ، مما زادها وضوحا وبيانا.

[1] – ينظر : القرآن وإعجازه العلمي– ص : 78.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

إن أهل العلم في بيان معنى الآية باعتبار الحقيقة والمجاز على فريقين:

الفريق الأول: أولوا لفظ (الشمس) و (القمر) في هذه الآية بضوئه ما أو سلطانهما أو مسيرهما... إلى غير ذلك.

الفريق الثاني : والغالب عليهم من فسر هذه الآية تفسيراً علمياً حملوا اللفظين على الحقيقة أي ذات الشمس والقمر، وليس إلى صفةٍ من صفاتهما.

كذلك يمكن القول أن جل الوجوه التي ذكرها أهل التفسير واللغة من القدامى والمحدثين وأهل الاختصاص من علماء الفلك في معنى الآية احتملها الآية القرآنية، بل ما ذكره العلماء المحدثون من أهل اختصاص العلم التجريبي من أن لكل كوكب ونجم مداره الخاص، ومسافة بينية متوازية بين المدارات يستحيل التقاؤها بأي حال من الأحوال زاد في إيضاح معنى الآية، وكشف عن إعجازها العلمي، وأسهب إسهابا كبيرا في خدمة تفسير كتاب الله تبارك وتعالى .

يقول الطاهر بن عاشور(1394هـ): "ومن دقة التعبير القرآني عن عدم تمكن إدراك الشمس القمر وكونها مسخرة ، أنه صاغ هذه الآية بصيغة الإخبار عن المسند إليه بالمسند الفعلي لإفادة تقويّ حكم النفي فذلك أبلغ في الانتفاء مما لو قيل: لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر"[1]

ومما يجدر الإشارة إليه أنه استئناسا بقرينة هذه الحقيقة العلمية؛ يمكن استبعاد رأي المهدوي القائل أن : القمر في السماء الدنيا ، والشمس في السماء الرابعة، فهي لا تدركه.

[1] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج : 24- ص :20

المبحث الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بالقمر.

المسألة الأولى: منازل القمر.

الآية التي ورد فيها ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

المطلب الأول: التفسير اللغوي لألفاظ الآية.

1- التفسير اللغوي للقمر.

تدور معاني " قمر" في اللغة حول البياض والإضاءة، قال الجوهري (393 هـ): "القمر بَعْدَ ثَلاث إلى آخر الشهر سُمّي قَمَراً لبياضه. والقمر أيضاً تَحيرُ البصَر من الثَّلْج، وقد قَمِرَ الرجل يَقْمَرُ قَمَراً، إذا لم يبصر في الثلج .... ولَيْلَة (قَمْراءُ) أي مُضِيئة و(أقمرت) ليلتنا أي أضَاءتْ. وأَقْمَرْنَا طلع علينا القَمَر".[2]

وقال ابن فارس (395 هـ): "القاف والميم والراء أصل صحيح يدلُ على بياضٍ في شيء، ثم يتفرّع منه، من ذلك القَمَر: قَمَر السَّماء، سمِّي قمراً لبياضه. "[3].

وقال ابن منظور (717هـ): "القُمْرَة لون إلى الخُضْرة، وقيل بياض فيه كُدْرَة... والقَمَرُ الذي في السماء قال ابن سيده والقَمَر يكون في الليلة الثالثة من الشهر ، وهو مشتق من القُمْرة والجمع أَقْمار وأَقْمَرَ صار قَمَراً وربما قالوا أَقْمَر الليلُ ولا يكون إلا في الثالثة..."[4]

إضافة إلى ما ذكره اللغويون من وصف القمر بالبياض والإضاءة، ذكروا له كذلك شرطا زمنيا حتى يسمى بالقمر وهو مرور ثلاثة أيام على بداية الشهر.

---

[1] – سورة يس– الآية :38 .

[2] – الجوهري– الصحاح – مادة (قمر) – ج: 02– ص: 798.

[3] – ابن فارس– مقاييس اللغة – مادة (قمر) – ج: 05 – ص: 25.

[4] – ابن منظور– لسان العرب – مادة (قمر) – ج:12– ص:89.

2- التفسير اللغوي للنزول.

يدل النزول في اللغة على الحلول بالمكان . قال ابن منظور : " النُّزُول: الحلول، وقد نَزَلهم و نَزَلَ عليهم ونَزَل بهم نُزل نُزُولاً ومَنْزَلاً ومَنْزِلاً بالكسر... والمنزِل والمَنْزِلة: موضع النزول. "[1]

وعليه فالمنازل في اللغة تدور حول معنى المواضع والأماكن.

3- التفسير اللغوي للعرجون.

اتفق أهل اللغة في بيان معنى العرجون ، فقال الخليل(170هـ): "العرجون: أصلُ العِذْق، وهو أصفُر عريضٌ يُشبِهُ الهلال إذا انْمَحَقَ " [2].

وقال الجوهري (393هـ): " العرجون أصل العذِق الذي يَعْوَجّ ويُقْطَع منه الشَّمَاريخ فيبقى على النخل يابساً ، وعَرْجَنَهُ :ضربه بالعُرْجونِ ."[3]

وذكر ابن منظور (711هـ) أن : "عرج: العرج والعرجة: الظلع، والعرجة أيضا: موضع العرج من الرجل، والعرجان بالتحريك: مشية الأعرج، ورجل أعرج من قوم عرج وعرجان "[4]

يلاحظ على تعريف الخليل أحمد تشبيه العرجون بصورة الهلال إذا انمحق.

– القمر في القرآن الكريم:

ذكر القمر في القرآن ستا وعشرين مرة[5]، ومعظمها جاءت اللفظة مقترنة بلفظة الشمس وذلك لأنهما الجرمان الرئيسان الذين نشاهدهما بوضوح من الأرض ولتأثيرهما المباشر في حياتنا، فالشمس لمعاشنا نهاراً والقمر لإضاءة سبلنا ليلاً ولاحتساب الشهور والأعوام. " [6].

---

[1] – ابن منظور – لسان العرب – مادة (نزل) – ج:11- ص:656.

[2] – الخليل- العين – مادة (عرجن) – ج: 02- ص: 320.

[3] – الجوهري- الصحاح – مادة (عرجن) – ج: 06- ص: 2164.

[4] – ابن منظور – لسان العرب – مادة (عرج) – ج :10- ص:87.

[5] – ينظر: محمد عبد الباقي- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- ص: 552.

[6] – ينظر: رعد طاهر رشيد العمري – الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – كلية الأركان – جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا – (د.ط)- (د.ت)- ص: 36.

– القمر في الدراسات الحديثة :

القمر جرم صغير غير ملتهب، كروي الشكل سيار تابع للأرض ، يبلغ قطر ه حوالي 3426كم وهو أصغر من الأرض بـــ 45 مرة يدور حول الأرض في مدار بيضوي تبلغ مدة دورته حوالي 29.5 يوماً ؛ وللقمر وجهان وجه مظلم تبلغ درجة حرارته 150مْ تحت الصفر ووجه مضاء تكون حرارته 100مْ وتبلغ جاذبيته سطح القمر 6/1 جاذبية سطح الأرض، والقمر خالٍ من الغلاف الجوي ولا تظهر فيه آثار الحياة..." [1].

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

1– تفسير الآية عند القدامى:

اختلف القدامى في المراد بمنازل القمر، واتفقوا في تشبيه صورته في آخر الشهر بالعرجون القديم. قال الطبري (310هـــ) رحمه الله : "وتأويل الكلام: تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم ، والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه – جل ثناؤه –بالعرجون القديم ، لأن ذلك من العذق ، لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحنيا إذا قدم ويبس."[2].

وقال القرطبي(671هـــ): "... ثم لا يزال يعود إلى الغلاف كل ليلة شيء منه فينقص من الرؤية والإقمار بمقدار ما زاد في البدء، ويبتدئ في النقصان من الناحية التي لا تراه الشمس، وهي ناحية الغروب حتى يعود كالعرجون القديم، وهو العذق المتقوس ليبسه ودقته ."[3]

وزاد قائلا: "وإنما قيل القمر ، لأنه يقمر أي : يبيض الجو ببياضه ..."[4]

[1] – ينظر: عبد الرزاق نوفل –الله والعلم الحديث –القاهرة –دار الكتب – القاهرة– (د.ط)– 1971م – ص: 27.

[2] – الطبري– جامع البيان – ج : 20– ص: 518.

[3] – المصدر نفسه– الصفحة نفسها.

[4] – أبو حيان – البحر المحيط– ج: 09– ص: 67.

وورد في تفسير أبي حيان (745هـ): "قرأ بعضهم برفع " القمر" على الابتداء ، وقرأ الباقون بالنصب على الاشتغال ، وانتصاب (منازل) على أنه مفعول ثان ، لأن " قدرنا " بمعنى صيرنا، ويجوز أن يكون منتصبا على الحال أي : قدرنا سيره حال كونه ذا منازل ، ويجوز أن يكون منتصبا على الظرفية أي : في منازل "[1].

وقال الشوكاني (1225هـ) : " قدرنا نوره منازل فزيد مقدار النور كل يوم حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم"[2].

لقد اختلف أهل التفسير القدامى في المعنى المراد بالآية إلى مذهبين هما:

1- منهم من تأول ذلك فقال: أي قدرنا مسيره منازل، وهي ثمانية وعشرون متزلاً، يترل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه.

2- ومنهم من قال: قدرنا نوره منازل فزيد مقدار النور كل يوم حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر.حتى يصير كالعرجون القديم.

واتفقوا في وجه الشبه بين صورة القمر في آخر الشهر، والعرجون القديم وهو التقوس والاصفرار.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

بخلاف القدامى فالمحدثون من أهل التأويل يتفقون في بيان المراد بمنازل القمر.

ذكر السيد قطب(1385هـ): "... والعباد يرون القمر في منازله تلك، يولد هلالا، ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدرا ، ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالا مقوسا كالعرجون القديم. والعرجون هو العذق الذي يكون فيه البلح من النخلة... "[3]

---

[1] - الشوكاني – فتح القدير- ج 1- ص: 1225 .

[2] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج : 15- ص: 29 .

[3] - السيد قطب – في ظلال القرآن- ج : 05- ص 2968.

وذكر الإمام الطاهر بن عاشور (1394ه): "... أي حتى نقص نوره ليلة بعد ليلة ، فعاد كالعرجون البالي"[1].

وقال رحمه الله كذلك : " والمنازل : جمع منزل ، وهو مكان النزول . والمراد بها هنا المواقع التي يظهر القمر في جهتها كل ليلة من الشهر . وهي ثمان وعشرون منزلة على عدد ليالي الشهر القمري . وإطلاق اسم المنازل عليها مجاز بالمشابهة "[2]

وقال أبو بكر الجزائري : " والقمر قدرناه منازل وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي ثمان وعشرون منزلة، حتى عاد كالعرجون القديم أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في الشماريخ وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر " [3]

كما اتفقوا في بيان المراد بمنازل القمر ، يلاحظ كذلك اتفاقهم في بيان وجه الشبه بين صورة القمر في آخر الشهر، والعرجون القديم .

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر.

أثبت العلم الحديث الحقائق العلمية التالية : وهي أن القمر يدور حول نفسه، وفي نفس الوقت يطوف حول الأرض مرة واحدة في كل شهر [4]، وقد انتهت بحوث الفلكيين إلى أن القمر أول الشهر يكون (المحاق) لانمحاق نوره أي اختفائه ، ثم يكون بعد سبعة أيام في التربيع الأول ثم يكون بدراً في وسط الشهر، ثم يكون في التربيع الثاني بعد الأسبوع الثالث، ثم يكون في المحاق آخر الشهر وهكذا دواليك.[5]

---

[1] – الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير– ج : 12– ص :95.

[2] – المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[3] – أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير – ج : 07– ص :168.

[4] – ينظر: محمد إسماعيل إبراهيم – القرآن وإعجازه العلمي– القاهرة– دار الفكر العربي– (د.ط) – (د.ت) – ص : 77 .

[5] – ينظر: محمد كامل عبد الصمد – الإعجاز العلمي في الإسلام –القاهرة – دار المصرية– ط.4–1417هـ –1997م – ص: 206

كما وجد علماء الفلك بعد أن راقبوا بدقة التغير في شكل القمر وحجمه أن هذا التغير منتظم، وثابت ودقيق وتمكنوا من تحديد زمن ولادة الهلال بدقة متناهية.

يقول الدكتور زغلول النجار : "... ولما كان القمر يقطع في كل يوم من أيام الشهر القمري حوالي 12 درجة من درجات دائرة البروج [360 درجة علي29,5 يوم=12,2 درجة] فإنه يقع في كل ليلة من ليالي الشهر القمري في مترل من المنازل التي تحددها ثوابت من النجوم أو من تجمعاتها الظاهرية حول دائرة البروج ، وهذه المنازل ثمانية وعشرون مترلا بعدد الليالي التي يري فيها القمر، وتعرف باسم منازل القمر"[1].

فأوجه القمر المختلفة سببها انتقال القمر في أماكن مختلفة بالنسبة للأرض، فيزيد حتى يصير بدرا، ثم يتناقص تدريجيا حتى إذا كان في آخر منازله، دق واستقوس.[2]

[1]- زغلول النجار- تفسير الآيات الكونية- ج : 03- ص :134.

[2]- ينظر:عبد الله محمد محمود- الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن- الوراق للنشر والتوزيع- ط.1- 2009م- ص: .43.

المطلب الرابع : تحليل ومناقشة.

اختلف أهل التفسير في حقيقة منازل القمر المذكورة في الآية، فمنهم من أخذ بظاهر النص وعليه فتقدير الكلام أي: قدرنا مسيره في فلكه منازل، وهي ثمانية وعشرون متزلاً، يتزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتعداه.

ومنهم من تأوله ، أي : قدرنا نوره منازل فزيد مقدار النور كل يوم حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم.

بالمقابل إذا نظرنا إلى التفسير العلمي لمنازل القمر نجده يتفق مع مذهب الفريق الأول ، بل ويزيده وضوحا وبيانا ، بل ويؤكد إعجاز القرآن الكريم .

يقول الدكتور زغلول النجار : "نظرا للارتباط الشديد بين مراحل أشكال القمر المتتالية من الهلال الوليد إلي التربيع الأول إ لى الأحدب الأول ، إلي البدر ، ثم الأحدب الثاني ، ثم الهلال الثاني، ثم المحاق، إلي الهلال الوليد للشهر القمري الجديد، وبين منازل القمر الثمانية والعشرين وهي مواقعه اليومية المتتالية في السماء بالنسبة إلي نجوم تبدو مواقعها قريبة ظاهريا فإن التعبير منازل القمر يمكن إطلاقه علي مراحل القمر المتتالية وعلي منازله المتوافقة مع تلك المراحل (أي مواقعه المتتالية في السماء)"[1]

أما تأويل الفريق الثاني فيمكن حمله على حجم نور القمر عند كل مترلة من تلك المنازل القمرية وصفة القمر فيها.

كذلك قد ذكر أغلب المفسرين أن وجه الشبه بين – القمر حين يكون في آخر منازله- والعرجون القديم من ثلاثة أوجه وهي الاصفرار والدقة والانعراج .

غير أن من فسر الآية تفسيراً علمياً يرى أن تعبير القرآن بالعرجون القديم الذي لا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة تشبيه علمي للقمر في حالته البيولوجية فلا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة، وهي حقيقة علمية مؤكدة.

1 - زغلول النجار- تفسير الآيات الكونية- ج : 03- ص :136.

يقول الدكتور زغلول النجار حفظه الله تعالى: "... ويضاف إلي هذه المعجزات القرآنية التي لا تنتهي أبدا، وصف المرحلة الأخيرة من مراحل الدورة الشهرية للقمر بالعرجون القديم، وهو العنقود من الرطب(العذق) إذا يبس وانحني، واصفر لونه وهو عند يبوسه علي النخلة ينحني تجاهها فكذلك الهلال الثاني ينحني بطرفيه تجاه الأرض، بينما الهلال الوليد ينحني بهما بعيدا عنها... فما أروع هذا التشبيه القرآني..!"[1]

وبذلك يتضح لنا المطابقة بين فهم القدامى للتشبيه البياني وفهم المحدثين من أهل العلم التجريبي لصورة القمر القرآنية، فسبحان من خاطب كل عصر بما يفهمون.

1 - المصدر نفسه - ص :.138.

المسألة الثانية : ضياء الشمس ونور القمر.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ نُفَصِّلُ ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي للنور والضياء.

لم يفرق اللغويون بين الضياء والنور في كثير من أقوالهم، بل فسر الضياء بالنور، إلا ما كان من الراغب الأصفهاني الذي ذكر أن الضوء أخص من النور، و لم يبين نوع هذا الخصوص.

1- التفسير اللغوي للضياء.

جاء في معجم العين: "الضياء ما أضاء لك ، يقال أضاءَ البَرْقُ لنا والسراجُ"[2].

وجاء في كتاب المفردات : "أن الضوء ما انتشر من الأجسام النيرة ويقال ضاءت النار وأضاءت غَيرها"[3].

وفيها كذلك: "وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور"[4].

ورد في لسان العرب: "الضوء والضوء، بالضم معروف: الضياء، وجمعه أضواء. وهو الضواء والضياء ... وقال الليث :الضوء والضياء : ما أضاء لك ... وقال الزجاج وقد يكون الضياء جمعاً ... وضاءَت بِنُورِك الأُفُقُ يقال ضاءَت وأَضاءَت بمعنى أَي اسْتَنارَت "[5].

---

[1] - سورة يونس- الآية :05.

[2] - ينظر : الخليل- العين – مادة (ضوأ) - ج :7- ص:78.

[3] - ينظر: الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن- ص:75.

[4] - ينظر: المصدر نفسه – نفس الصفحة .

[5] - ينظر :ابن منظور - لسان العرب - مادة (ضوأ) - ج :1- ص:112.

2- التفسير اللغوي للنور.

جاء في الصحاح: " النورُ :الضياءُ، والجمع أنْوارٌ... وأنارَ الشيءُ واسْتَنارَ بمعنًى، أي أضاء والتَنْويرُ :الإنارةُ .والتَنْويرُ :الإسْفارُ "[1].

كما ورد في لسان العرب: "النُّور الضَّوْءُ أَيًّا كان وقيل هو شعاعه وسطوعه، والجمع أَنْوارٌ ونِيرانٌ عن ثعلب، وقد نارَ نَوْراً وأَنارَ واسْتَنارَ ونَوَّرَ الأَخيرة عن اللحياني بمعنى واحد أَي أَضاء "[2].

والحاصل من تعريف اللغويين بعد عرض أقوالهم، أن النور والضياء بمعنى واحد عندهم.

المطلب الثاني: تفسير الآيتين عند القدامى

1- تفسير الآيتين عند القدامى:

بخلاف اللغويين ، فقد ذكر أهل التفسير القدامى الفرق بين الضياء والنور.

قال الزمخشري (583هـ)[3] " والضياء أقوى من النور"[4]

وقال البيضاوي (691هـ) (791 هـ) رحمه الله : "هو الذي جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو، والقمر نورا أي ذا نورا أو سمي نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت ، وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها "[5].

---

[1] – الجوهري- الصحاح – مادة (نور) - ج: 08- ص: 164.

[2] – ابن منظور – لسان العرب – مادة (نور) - ج:05- ص:240.

[3] – هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، ولد في شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر قرية من قرى خوارزم وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب وغيره وحدث، وله تصانيف منها الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ينظر:السيوطي- طبقات المفسرين – ت : علي محمد عمر- مكتبة وهبة- ط.1- 1396ه- 1976م- ج : 1- ص: 104.

[4] – الزمخشري محمود بن عمر بن محمد – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل – ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض – ط.1- 1418ه- 1998- ج : 2- ص: 314.

[5] –ا لبيضاوي- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ج: 02- ص: 90.

وقال أبو حيان (745هـ): " لم كانت الشمس أعظم جرماً خصت بالضياء لأنه هو الذي له سطوع ولمعان، وهو أعظم من النور. قال أرباب علم الهيئة: الشمس قدر الأرض مائة مرة وأربعاً وستين مرة "[1]

وأشار رحمه الله إلى الفرق بين الضياء والنور في سورة البقرة فقال : "الإضاءة: الإشراق، وهو فرط الإنارة... والنور : الضوء من كل نير ونقيضه الظلمة ، ويقال نار ينور إذا نفر، وجارية نوار : أي نفور ، ومنه اسم امرأة الفرزدق ، وسمي نوراً لأن فيه اضطراباً وحركة "[2].

يتبين من خلال الأقوال المذكورة لأهل العلم أن الضياء يتمايز عن النور بشدة الإضاءة، وبمصدرها؛ فما بالذات ضوء ، وما بالعرض نور ، وقد نبه سبحانه وتعالى لذلك ، فخلق الشمس وخصها بالضياء، وخلق القمر وخصه بالنور.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

يتفق المحدثون من أهل التفسير مع القدامى في بيان الفرق بين الضياء والنور، قال السيد قطب رحمه الله (1385هـ): " ﴿هُو ٱلذِے جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ فيها اشتعال ﴿وَٱلْقَمَرَ نُوراً﴾.فيه إنارة "[3].

والفرق بين الضياء والنور يتمثل في أن الضياء تصحبه الحرارة والدفء، والنور إنارة حليمة، ولذلك يسمى نور القمر النور الحليم ... إذن: فالنور هو ضوء ليس فيه حرارة ، والحرارة لا تنشأ إلا حين يكون الضوء ذاتيّاً من المضيء مثل الشمس. أما القمر فضوؤه غير ذاتي ويكتسب ضوءه من أشعة الشمس حين تنعكس عليه[4].

[1] - ينظر: أبو حيان - البحر المحيط - ج:05- ص:240.
[2] - نفس المصدر - ج : 08- ص: 164.
[3] - السيد قطب – في ظلال القرآن- ج : 03- ص: 1765.
[4] - ينظر: تفسير الشعراوي- ج : 09- ص: 7540- 7542.

وكذلك فالقمر مضيء بغيره، أما الشمس فهي تضيء بذاتها. لذلك قال الحق تبارك وتعالى هنا: ﴿ هُو ٱلذِے جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً ﴾.[1]

وقال وهبة الزحيلي : "...الضياء أعظم من النور وأبهى، بحسب الشمس والقمر، والضياء أشد تأثيرا على الأبصار، وأما نور القمر فهو أهدأ وأقرب للتفاعل والتجاوب معه "[2].

جاء في التفاسير الحديثة المذكورة أن الفرق بين ضياء الشمس ونور القمر يتمثل في أن الضياء أعظم وأشد من النور ، فيكون تأثيره أعظم وأشد على الأبصار، والضياء تصحبه حرارة لأن مصدره ذاتي بخلاف نور القمر فلا تصحبه حرارة لأن غير ذاتي، بل يكتسبه من الشمس .

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر .

أثبت العلم الحديث الحقائق العلمية التالية:

1- ضوء الشمس هو الطيف المرئي، وأحد مجموعة أطياف الطاقة الكهرومغناطيسية المنطلقة من الشمس وهو عبارة عن تيار من الفوتونات المنطلقة من جسم مشتعل ملتهب متوقد بذاته سواء كان ذلك بفعل عملية الاندماج النووي أو غيرها[3].

2- القمر وغيره من أجرام مجموعتنا الشمسية هي أجسام معتمة باردة لا ضوء لها ولكن يمكن أن تري لقدرتها علي عكس أشعة الشمس فتبدوا منيرة ، ونور القمر ناتج عن تشتيت ضوء الشمس علي سطحه بواسطة القوي التي يبذلها الحقل الكهرومغناطيسي علي الشحنات الكهربية التي تحتويها كل صور المادة[4].

استفاد العلماء الفلكيون المسلمون من هذه الحقائق العلمية، ووظفوها في تفسير الآية، فزاد ذلك معناها وضوحا وبيانا وجمالا، وكشف عن دقة وروعة ألفاظها.

---

[1] - ينظر: تفسير الشعراوي- ج : 09- ص: 7544.

[2] - وهبة الزحيلي – التفسير الوسيط- ج :02- ص:943.

[3] - ينظر: زغلول النجار – تفسير الآيات الكونية- ج :01- ص:335.

[4] - نفس المصدر - ص: 336.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

يلاحظ على تفسير القدامى الاتفاق في التفريق بين ضياء الشمس ونور القمر، غير أن هذا التفريق يرتكز أساسا على شدة الإضاءة أو درجة الإضاءة، وهذا ما لم نلتمسه عند اللغويين إذ يجعلون الضياء مرادفا للنور.

علماء التفسير الحديث زادوا في إيضاح الفرق بين الضياء والنور بالنظر إلى مصدر كل منهما، حيث ذكروا أن الضياء مصدره ذاتي بخلاف النور.

هذه الإضافة زادت من إدراك بعض أسرار ربط القرآن الكريم الضياء بالشمس والنور بالقمر.

أما أهل التفسير العلمي فكانوا أكثر دقة وإيضاحا في بيان الفرق بينهما استدلالا بما وصل إليه العلم الحديث في ذلك.

يقول الدكتور زغلول النجار : "انطلاقا من الحقائق العلمية التي تمايز بين الضوء الصادر من جسم مشتعل، ملتهب، مضي بذاته وبين الشعاع المنعكس من جسم بارد يتلقي شعاع الضوء فيعكسه نورا ركز القرآن الكريم علي التمييز الدقيق بين ضياء الشمس ونور القمر"[1].

فسبحان من جعل في كتابه تلك الحقائق الكونية والسنن الربانية شاهدة علي صدقه، وحجة علي أهل عصرنا وأهل كل عصر يأتي من بعدنا إلي قيام الساعة.

[1] – ينظر:زغلول النجار – تفسير الآيات الكونية- ج :01- ص:335.

المبحث الثالث: تفسير الآيات المتعلقة بالكواكب والنجوم.

المسألة الأولى: النجم الثاقب

الآية التي ورد فيها ذلك:

قال الله تبارك و تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَالطارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾.[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي لألفاظ الآية.

التفسير اللغوي للنجم.

لم يفرق أهل اللغة بين النجوم وَالكواكب، فتارة أطلقوا اسم النجم على كل كوكب، وتارة اختصوه ببعضها كالثريا.

ذكر الخليل (170هـ) أن :"... النَّجْمُ: اسم يقع على الثُّريا، وكُلّ مَنْزِلٍ من مَنازِلِ القَمَر سُمِّي نَجْماً. وكل كَوْكَبٍ من أعلام الكَواكِبِ يُسمَّى نَجْماً، والنُّجُومُ تَجْمَعُ الكواكِب كُلَّها... وأنْجَمتِ السَّماءُ بَدَتْ نُجُومُها" [1].

وذكر الراغب(502هـ): "أصل النجم الكوكب الطالع وجمعه نجوم، ونَجَم طَلّعَ. نجوما ونجماً فصار اسماً ومرة مصدراً، فالنجوم مرة اسماً كالقلوب والجيوب، ومرة مصدراً كالطلوع والغروب"[2].

وقال صاحب الصحاح (393هـ):"نَجمَ الشيءَ يَنْجُمُ بالضم نُجوماً: ظهر وطلع...النجمُ: الكوكب، والنجم الثريا، وهو اسم لها فإذا قالوا طلع النجم يريدون الثريا، وإن خرجت منه الألف واللام تَنَكّر".[3]

---

[1] – سورة الطارق– الآية :1-2-3.

[2] – الراغب– غريب القرآن– مادة (نجم) – ص: 739.

[3] – ينظر : الجوهري– الصحاح – مادة (نجم) – ج: 05– ص: 203.

وقال ابن فارس (395هـ): "النون والجيم والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على طلوع وظهور. ونَجَمَ النَّجمُ: طَلَعَ. ونجم السن والقرنُ: طلعا. والنجم الثريا، اسم لها. وإذا قالوا طلع النجم، فإنهم يريدونها. وليس لهذا الحديث نجم، أي أصل ومَطْلَع. والنجم من النبات ما لم يكن له ساق، من نجم إذا طلع.."[1]

وقال ابن منظور(711هـ):" نَجَمَ الشيءُ يَنْجُم بالضم نُجوماً طَلَعَ وظهر ونَجَمَ النباتُ والنابُ والقَرْنُ والكوكبُ وغيرُ ذلك طلَعَ ... النجم في الأصل: اسم لكل واحد من كواكب السماء وهو بالثريا أخص فإذا أطلق إنما يراد به هي والنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها"[2].

يتضح مما قاله أصحاب المعاجم أن العرب لم يفرقوا بين النج وم والكواكب من حيث التكوين ، وهذا مخالف للحقائق العلمية الحديق، لأن النجوم أكبر من الكواكب ، والقرآن الكريم فرقّ في آيات كثيرة بين النجوم والكواكب ، فهو يصف كلاً منهما وصفاً علمياً دقيقاً لا لبس فيه.

ماهية النجوم في العلم الحديث:

النجوم أجرام سماوية بمثابة كتل غازية، وتتشكل في داخلها أفران طاقة نووية هيدروجينية، ومن ثم فهي مولدة للطاقة ومشعة لها خارجاً، لنراها بذلك من خلال لمعانها، وهي عموماً مختلفة الأبعاد عنا.[3]

وأقرب النجوم إلينا وهي الشمس تبعد عنا بنحو مائة وخمسين مليون كيلومتر(149,6 مليون كيلومتر) وأقرب نجوم مجرتنا إلينا بعد الشمس واسمه الأقرب القنطوري ، يقدر بعده عنا

[1] – ينظر :ابن فارس– مقاييس اللغة – مادة (نجم) – ج: 05 – ص: 396.

[2] – ينظر : لسان العرب – مادة (نجم) – ج: 14– ص: 205.

[3] – ينظر : مخلص الريس– الكون والحياة من العدم حتى ظهور الإنسان– سوريا – دار دمشق–ط.1–1997م– ص: 111.

بأكثر من أربعة آلاف مليون مليون كيلومتر(4,3 من السنين الضوئية), ومن النجوم ما يبعد عنا بأكثر من عشرة بلايين من السنين الضوئية.[1]

يؤدي تسلسل عملية الاندماج النووي من عنصر إلي آخر ، إلي تكوين عناصر أعلي في وزنها الذري باستمرار ، مما يؤدي بدوره إلي تعقيد كل من التركيب الكيميائي والبناء الداخلي للنجم، الذي يتقلص حجمه بالتدريج وتزداد كثافته بطريقة مطردة ، وترتفع درجة حرارته باستمرار، فيمر بذلك في عدد من الأطوار المتتالية حتى نهاية حياته، وتسمي هذه المراحل المتتالية بدورة حياة النجم[2]

2- التفسير اللغوي للطارق.

اتفق أهل اللغة في بيان معنى النجم الطارق، قا ل الخليل (170هـ): "طَرَقْتُ مَنْزلاً أي جئتهُ ليلاً ... والسماء والطَّارقُ كَوْكبُ الصَّبْح"[3].

وقال ابن فارس (395هـ): " قالوا: ورجلٌ طُرقةٌ ، إذا كان يسري حتى يطُرق أهله ليلاً. وذُكر أنّ ذلك يقال بالنهار أيضاً، والأصل الليل، والدليل على أن الأصل الليل تسميتهم النجم طارقاً، لأنه يطلع ليلاً. قالوا: وكلُّ مَن أتى ليلاً فقد طرق"[4].

وقال ابن منظور (717هـ): "الطرق: الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهن، والخط في التراب. والطراق: المتكهنون ... وأصل الطرق الضرب؛ ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد لأنه يطرق بها، أي يضرب بها، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف ... والطارق: النجم، وقيل: كل نجم طارق؛ لأن طلوعه بالليل، وكل ما أتى ليلا فهو طارق"[5].

---

[1] – ينظر : زغلول النجار – تفسير الآيات الكونية- ج :04- ص:400.

[2] – ينظر : زغلول النجار – تفسير الآيات الكونية- ج :04- ص:400.

[3] – الخليل- العين – مادة (طرق) - ج: 05- ص: 98.

[4] – ابن فارس- مقاييس اللغة - مادة (نجم) - ج: 05 - ص: 396.

[5] – لسان العرب - مادة (طرق) - ج: 10 - ص: 219

والحاصل أن لفظ الطرق يدور في اللغة حول الضرب، وكل ما أتى ليلا فهو طارق، وسمي النجم بذلك لطلوعه بالليل.

التفسير اللغوي للثاقب.

يأتي لفظ الثاقب في اللغة بمعنى النافذ، كما يأتي بمعنى المضيء بلغة قريش، قال الخليل (170هـ): "الثّقْبُ اسمٌ لما نَفَذَ ... والثّقُوبُ مصدرُ النّارِ، والكوكَبِ ونحوه التَّلأْلُؤِ. .. وحَسَبٌ ثاقِبٌ مشهُورُ مرتفِعٌ ".[1]

وقال الجوهري (393هـ): "الثَقْبُ بالفتح: واحدُ الثقوب ، والثُقْبُ بالضم: جمع ثُقْبَةٍ، ويجمع أيضاً على ثُقَبٍ ، والمِثْقَبُ :ما يُثْقَبُ به... وشِهابٌ ثاقبٌ، أي مُضِيءٌ... والثَقوبُ بالفتح: ما تُشْعِلُ به النارَ من دِقاقِ العيدانِ "[2].

وقال ابن فارس (395هـ): "الثاء والقاف والباء كلمة واحدة، وهو أن ينفُذُ الشيء. يقال ثقبت الشيء أثقبه ثقباً ، والثَّاقب في قوله تعالى: ﴿النجم الثاقب﴾. قالوا هو نجم ينفُذ السَّموات كلها نوره، ويقال ثقبت النار إذا ذكيتها، وذلك الشيء ثُقبه وذكوَه "[3].

وقال ابن منظور(717هـ): "قال الليث الثَّقْبُ مصدر ثَقَبْتُ الشيءَ أَثْقُبُهُ ثَقْباً ، والثَّقْبُ اسم لما نفَذ وثقب الكوكب ثقوباً أضاء ... والثاقب أيضاً الذي ارتفع على النجوم و العرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء: فقد ثقب".[4]

وجاء في التبيان في تفسير غريب القرآن: " أن الثاقب المضيء بلغة قريش"[5].

بعد ذكر أقوال أصحاب المعاجم السابقة ، يتبين أن المراد بالنجم الثاقب هو المضيء، أو الذي ينفذ نوره في السماء فيضيئها.

---

[1] – الخليل- العين – مادة (ثقب) – ج: 05- ص: 139.

[2] – الجوهري- الصحاح – مادة (ثقب) – ج: 01- ص: 94.

[3] – ابن فارس- مقاييس اللغة – مادة (ثقب) – ج: 01 – ص: 382.

[4] – لسان العرب – مادة (ثقب) – ج: 01- ص: 240.

[5] – ابن الهائم- تفسير غريب القرآن – ص: 458.

المطلب الثاني: تفسير الآيات عند القدامى والحدثين

1- تفسير الآيات عند القدامى:

اختلف أهل العلم في تحديد النجم الثاقب إلى أقوال كثيرة:

قال الإمام الطبري (310هـ): "أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلا من النجوم المضيئة، ويخفى نهارا، وكل ما جاء ليلا فقد طرق "[1]، ثم قال رحمه الله : "وما أدراك ما الطارق ، يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يا محمد ما الطارق الذي أقسمت به ، ثم بين ذلك جل ثناؤه ، فقال : هو النجم الثاقب ، يعني : يتوقد ضياؤه ويتوهج"[2]

وأورد القرطبي (671هـ) رحمه الله بدوره أقوالا كذلك مختلفة لأهل العلم لمعنى الثاقب فقال: "واختلف فيه فقيل: هو زحل: الكوكب الذي في السماء السابعة ذكره محمد بن الحسن في تفسيره، وذكر له أخبارا، الله أعلم بصحتها. وقال ابن زيد : إنه الثريا، وعنه أيضا أنه زحل وقاله الفراء عن ابن عباس: هو الجدي. وعنه أيضا وعن علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما– "[3]

وقال كذلك: "...وعن الفراء:النجم الثاقب : نجم في السماء السابعة ، لا يسكنها غيره من النجوم فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء، هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة ، وهو زحل ، فهو طارق حين يترل ، وطارق حين يصعد"[4]

وذكر ابن كثير(774هـ) أقوالا لأهل العلم عن الثاقب فقال: "قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي :يثقب الشياطين إذا أرسل عليها ، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان "[5].

---

[1] – الطبري– جامع البيان – ج : 24- ص: 352.

[2] – المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[3] – الجامع لأحكام القرآن- ج : 20 – ص: 03 .

[4] – المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[5] – ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج: 08 – ص: 374.

بعد عرض أقوال العلماء في التفاسير المذكورة، فان النجم الثاقب له معان منها :أنه النجم الذي يتوقد ضياؤه ويتوهج؛ وهو مروي عن ابن عباس، وزاد بعضهم على كونه مضيء أنه محرق للشياطين، وهو مروي عن عكرمة .

ويراد بالنجم الثاقب كذلك زحل، وهو أحد الكواكب، كما يراد به الثريا والجدي عند بعضهم؛ ويلاحظ على هؤلاء أنهم لا يفرقون بين النجم والكوكب.والعلم الحديث على خلاف ذلك.

2- تفسير الآيات عند المحدثين من أهل التفسير:

اتفق المحدثون من أهل التفسير في بيان معنى الطارق والثاقب في الآية، غير أنهم اختلفوا في مفهوم النجم الثاقب؛ هل يراد به نجم محدد ؟ أم يراد به جنس النجم ؟

ذكر صاحب الظلال (1385هـ) رحمه الله: " أن هذا الوصف ينطبق علي جنس النجم، ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته من هذا النص ، ولا ضرورة لهذا التحديد ، بل إن الإطلاق أولي ليكون المعني: والسماء ونجومها الثاقبة للظلام، النافذة من هذا الحجاب الذي يستر الأشياء"[1].

وقال ابن عاشور(1394هـ) : "الطارق: وصف مشتق من الطروق، وهو المجيء ليلا ؛ لأن عادة العرب أن النازل بالحي ليلا يطرق شيئا من حجر أو وتد إشعارا لرب البيت أن نزيلا نزل به فأطلق الطروق على النزول ليلا مجازا مرسلا ، فغلب الطروق على القدوم ليلا ".[2]

وقال في تفسير الثاقب : "والثقب: خرق شيء ملتئم، وهو هنا مستعار لظهور النور في خلال ظلمة الليل، شبه النجم بمسمار أو نحوه، وظهور ضوئه بظهور ما يبدو من المسمار من خلال الجسم الذي يثقبه مثل لوح أو ثوب ".[3]

وقال أسعد محمود حومد: "النجم الثاقب ، الذي تثقب شدة ضوئه ولمعانه الظلام" [(4)].

---

[1] - السيط قطب- في ظلال القرآن- ج : 06- ص :3877.

[2] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج : 31- ص :259.

[3] - المصدر نفسه - ص : 259.

[4] - أسعد محمود حومد – أيسر التفاسير- سوريا- دمشق- ط.4- 1419ه- 2009م- ج : 01 - ص: 1520

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر

أثبت العلم الحديث الحقائق التالية:

ـــ وجود مصادر الإشعاع الراديوي المميز بالسماء الدنيا ومن أهمها النجوم النيوترونية شديدة التضاغط والمعروفة باسم النجوم النابضة أو النابضات أو النوابض، وهي نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير، ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية ، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة.[1]

ـــ وجود ثقوب سوداء تكنس الفضاء وتجذب إليها كل ما تصادفه، فتخلف نفقاً خالياً من المادة و الطاقة وكأنه يثقب الفضاء فعلاً.[2]

ووفقا لما ذكر من الحقائق العلمية السابقة اختلف علماء الفلك من أهل الإسلام في تفسير النجم الثاقب إلى ثلاث فرق.

الفريق الأول: فسر قوله تعالى:(الثاقب) بالشهب المحترقة كما فسر القدماء ذلك[3].

الفريق الثاني: فسرها بالنجوم النيوترونية شديدة التضاغط والمعروفة باسم النجوم النابضة[4].

الفريق الثالث: فسرها بالثقب الأسود بدليل أنه يثقب الفضاء الكوني أثناء جريانه لأنه يكنس الفضاء ويجذب إليه كل ما يصادفه فيخلف نفقاً خالياً من المادة و الطاقة وكأنه يثقب الفضاء فعلاً.[5]

---

[1] – ينظر: أحمد جاد– موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية– مصر– القاهرة– دار الغد الجديد– ط.1– 1430هـ–2009م– ص: 46.

[2] – ينظر : زغلول النجار – تفسير الآيات الكونية– ج :04– ص406

[3] – ينظر : محمد وفا الأميري – الإشارات العلمية في القرآن الكريم – ص :32.

[4] – ينظر : هشام طالب – بناء الكون ومصير الإنسان– لبنان– دار المعرفة– ط.1– 1427ه–2006م– ص : 289.

[5] – ينظر : منصور محمد حسب النبي– الكون والإعجاز العلمي للقرآن– ص : 269.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

يستهل المولى جل وعلى هذه السورة الكريمة، سورة الطارق بقسم عظيم ؛ أقسم فيه بالسماء والطارق، وهذا يفيد توجيه ولفت لأنظار الناس إلى عالم السماء وما فيه، ثم يثني باستفهام تفخيمي عن ماهية الطارق ويحدده بالنجم الثاقب ، كأنه لفرط فخامته لا يحيط به وصف إلا ما سيذكره الله عنه.

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة، فان الطارق في اللغة هو الآتي ليلاً، وقد أخذت من الطرق لأنه يطرق الباب، وأطلق بعد ذلك على كل ما يبدو ويظهر ليلاً. كما تدل كلمة الطارق على الحركة والطروق ليلاً، وقد علم أن النجوم و جميع الأفلاك السماوية في حركة دائبة .

وبالنظر إلى التفسيرات اللغوية وتأويلات أهل التفسير من القدامى والمحدثين للثاقب ، فإنها تتواطأ حول معنى ينبغي التركيز عليه وهو الإضاءة في ظلام دامس؛ غير أن بعض المحدثين استبعدوا أن تكون هذه الصفة محددة في نجم معين ، بل هي عامة في جنس النجم.

وعليه فيمكن استبعاد نظرة الفريق الثالث من أهل التفسير العلمي والقائلة بأنها ثقوب سوداء تكنس ما تصادفه أمامها في الفضاء.

كذلك يمكن استبعاد نظرة الفريق الأول من أهل التفسير العلمي ، والقائلة بأنها شهب ثاقبة لأن في الأخذ بهذه النظرة العلمية يقصي فائدة ذكر الطارق في الآية.

وعليه فيمكن التعويل على الحقيقة العلمية للفريق الثاني والله أعلم باعتبارات هي.

– هذه النجوم النيوترونية شديدة التضاغط وذات كثافة وجاذبية فائقة ، ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية حين ترجمتها صوتيا تشبه تماما طرق الرجل بالمطرقة لشيء ما، وفي هذا إشارة إلى معنى الطارق في الآية.[1]

– هذه النجوم في آخر حياتها تنفجر انفجارا مذهلا فيضاء ما حولها إضاءة مذهلة.

[1] – ينظر : أحمد جاد– موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة النبوية– ص:47.

يقول زغلول النجار: "والانفجار الواحد من هذه الانفجاريات العظمي، تفوق شدته الطاقة المنطلقة من جميع النجوم في مجرة كاملة، ويكون الضوء المصاحب له أشد لمعانا من ضوء المجرة بالكامل "[1].

فبالنظر إلى خصائص هذه النجوم النيوترونية، والتي من بينها الطرق والإضاءة الشديدة ومقارنتها بما ورد في أوائل سورة الطارق، يمكن القول أنها المرادة بالنجم الثاقب؛ ومنه يمكن رد قول بعض المحدثين من أهل التفسير والرامي إلى أن النجم الثاقب يراد به عموم النجوم.

بهذا تبين جليا أهمية التفسير العلمي للقرآن في إيضاح المعاني القرآنية بالمعارف والعلوم العصرية من جهة، وفي رد بعض الاجتهادات التفسيرية التي تخالف الحقائق العلمية من جهة أخرى.

ولا يسع المؤمن وهو يتأمل قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَالطارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾[2]، ويقارنها بما توصل إليه العلم الحديث إلا أن يقول سبحان من علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

1 – ينظر: زغلول النجار – تفسير الآيات الكونية- ج :04- ص406.

2 – سورة الطارق- الآية :1-2-3.

المسألة الثانية: مواقع النجوم.

الآية التي ورد فيها ذلك:

قال الله تبارك و تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾.[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي للمواقع.

اتفق أصحاب المعاجم في بيان الدلالات اللغوية للفظ "المواقع"، فقد جاء في معجم العين: " المَوْقِعُ: موضِعٌ لكل واقعٍ وجمعُه. مَواقِعُ "[2].

وجاء في الصحاح: "الوَقْعَةُ :صَدمةُ الحرب، والواقِعَةُ مثله . والواقِعَةُ: القيامةُ. ومَواقِعُ الغيثِ: مساقطه، ويقال: وَقَعَ الشيء مَوْقِعة، ومَوْقَعَةُ الطائرِ بفتح القاف: الموضع الذي يَقَعُ عليه ، ومِيقَعَةُ البازي: الموضع الذي يألفه فيقَع عليه."[3].

وورد في مقاييس اللغة: " الواو والقاف والعين أصلٌ واحد يرجع إليه فروعه يدل على سُقوط شيء، ومَواقع الغيث مَسَاقطه"[4].

وجاء في اللسان:» وقع على الشيء ومنه يَقَعُ وَقْعاً وُوقُوعاً: سقط... وَقَعَ المطرُ بالأَرض ولا يقال سَقَطَ . ومواقع الغيث مَساقَطه والمَوْقِع والمِوقعة: موضع الوقوع .. تقول إن هذا الشيء ليقع في قلبي موقعاً "[5]

والحاصل مما ذكر أن كلمة المواقع تدور في اللغة حول مواضع الوقوع أو أماكن الوقوع.

---

[1] – سورة الواقعة– الآية :74–75.

[2] – الخليل– العين– مادة (وقع) – ج: 02– ص: 178.

[3] – الجوهري– الصحاح – مادة (وقع) – ج: 03– ص: 1301.

[4] – ابن فارس– مقاييس اللغة – مادة (وقع) – ج: 06 – ص: 134.

[5] – لسان العرب – مادة (وقع) – ج: 08– ص: 402.

المطلب الثاني:

1- تفسير الآية عند القدامى.

اختلف أهل العلم في تفسير مواقع النجوم إلى عدة أقوال ، وذلك لاختلافهم في معنى النجوم، وبالتالي اختلافهم في معنى المواقع، وقد أبدع الإمام الطبري(310هـــــ) رحمه الله في إيراد هذه الاختلافات ثم ترجيحها.

يقول رحمه الله:" اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه:

- فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجوما متفرقة، وهو مروي عن ابن عباس.

- وعن عكرمة قال : أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات .

- وعن مجاهد - فلا أقسم بمواقع النجوم- قال: هو محكم القرآن.

- وفي رواية أخرى عن ابن عباس قوله : فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم قال: مستقر الكتاب أوله وآخره ".[1]

وأضاف رحمه الله: "وقال بعضهم:

في رواية عن مجاهد كذلك : مطالعها ومساقطها .

وعن قتادة قال : بمنازل النجوم .

قال الحسن : انكدارها و انتثارها يوم القيامة "[2].

ثم إن الإمام بعد ذلك رجح بين هذه الأقوال قائلا : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء ، وذلك أن المواقع جمع

[1] - الطبري- جامع البيان - ج : 23- ص: 148.

[2] - المصدر نفسه – نفس الصفحة.

موقع، والموقع المفعل من وقع يقع موقعا ، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به"[1]

وقال البغوي (516هـ) رحمه الله تعالى : "قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن ، فإنه كان يترل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متفرقا نجوما . وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح: أراد منازلها. وقال الحسن : أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة"[2]، وهو تفسير مشابه لتفسير الطبري رحمه الله.

وقال ابن كثير (774هـ): "واختلفوا في معنى قوله : بمواقع النجوم ، فعن ابن عباس يعني : نجوم القرآن ؛ فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقا في السنين بعد. وقال الضحاك عن ابن عباس : نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد – صلى الله عليه وسلم – عشرين سنة ، فهو قوله : فلا أقسم بمواقع النجوم" [3]؛ وبمثل قوله قال الشوكاني (1225هـ) في فتح القدير"[4].

بعد ذكر أقوال أهل العلم القدامى في التفاسير المذكورة، فان مواقع النجوم لها معان عدة منها : منازل القرآن ، حيث أنزل القرآن نجوما متفرقة، ومن معانيها محكم القرآن، وذكر بعضهم أن معناها مستقر الكتاب أوله وآخره.

وذكر آخرون معان أخرى منها : مطالع النجوم ومساقطها، ومنها منازل النجوم ؛ ومن معانيها كذلك اندثار هذه النجوم وانكدارها.

وبنظرة فاحصة لهذه المعاني يتبين أن أهل العلم من مواقع النجوم على فريقين:

الفريق الأول: أخذ بحقيقة النجوم ففسر مواقعها بالمطالع والمساقط أو المنازل .

---

[1] – المصدر نفسه– ص: 149.

[2] – البغوي– معالم التنزيل– ج : 08 – ص: 23 .

[3] – ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج : 05 – ص: 544 .

[4] – ينظر : الشوكاني – فتح القدير– ج : 01 – ص: 1451 .

الفريق الثاني:أعمل المجاز، فتأول معناها بمنازل القرآن، محكم القرآن أو مستقر الكتاب.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

اختلف المحدثون من أهل العلم في بيان مواقع النجوم ، كما اختلف القدامى من قبلهم، فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير : "ومواقع النجوم جمع موقع يجوز أن يكون مكان الوقوع، أي محال وقوعها من ثوابت وسيارة. والوقوع يطلق على السقوط، أي الهوى، فمواقع النجوم مواضع غروبها".[1]

ويضيف صاحبه قائلا:" والمواقع هي: أفلاك النجوم المضبوطة السير في أفق السماء، وكذلك بروجها ومنازلها "[2]

كما جاء في أضواء البيان : "وقد اختلفوا أيضا في المراد بمواقع النجوم فقال بعضهم : هي مساقطها إذا غابت. وقال بعضهم: انتثارها يوم القيامة. وقال بعضهم: منازلها في السماء، لأن النازل في محل واقع فيه، وقال بعضهم: هي مواقع نجوم القرآن النازل بها الملك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ".[3]

وقال المراغي: "ومواقع النجوم: مساقط كواكب السماء ومغاربها ".[4]

مما سبق ذكره في التفاسير الحديثة، فان مواقع النجوم لها معان عدة منها :أفلاكها المضبوطة السير في السماء، بروجها، منازلها، محال وقوعها ، خطوط سيرها، مساقطها ومغاربها وأغلب هذه المعاني قد ذكرت عند القدامى؛ ويلاحظ على الشيخ المراغي أنه لا يفرق بين النجوم والكواكب من خلال تفسير الآية .

[1] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج : 28- ص :331.

[2] - نفس المصدر – نفس الصفحة.

[3] - الشنقيطي – أضواء البيان- ج : 07- ص :462.

[4] - أحمد مصطفى المراغي- تفسير المراغي- مصر- مطبعة مصطفى الحلبي- ط.1- 1365ه- ج:27- ص:150.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر.

أثبت العلم الحديث الحقائق العلمية التالية والتي يمكن أن تكون قرائن علمية يمكن ربطها بالآية وتفسير قوله تعالى :(مواقع النجوم) تفسيراً حديثاً يتوافق ما وصل إليه العلم:

1- مواقع النجوم المنحرفة: نفس المصدر – نفس الصفحة.

تكون هذه المواقع نتيجة انحراف وانكسار الضوء وهذه الظاهرة لا ترينا النجوم في مواقعها الحقيقية بل نشاهدها فوق موقعها الحقيقي، فكلما كانت النجوم قريبة الأفق كان الفرق بين موقعها الحقيقي والوهمي كثيراً، أو بتعبير آخر كلما كانت زاوية الانكسار أكبر كان الفرق بين موقعها الوهمي والحقيقي أكثر وبالعكس، والسبب في هذه الظاهرة أن الضوء إذا مر في وسط يختلف في الكثافة اختلفت سرعته فينحرف عن استقامته "[1].

كذلك الضوء الصادر عن أي نجم عندما يصل إلينا فأنه سوف يتأثر بالجاذبية القوية فينحرف عن مساره المستقيم ويتعرج قليلاً بمسار منحني فلو وصل إلى الأرض فإن المشاهد لصورة ذلك النجم سوف يشاهدها على امتداد مجال البصر وليس في موقع النجم الأصلي فإننا بذلك نرى موقعاً ظاهرياً للنجم وليس موقعه الحقيقي. "[2]

2- مواقع النجوم الخالية:

إن النجوم تبعد عن الأرض بأبعاد سحيقة تقاس بالسنين الضوئية والسنة الضوئية = (ستة بلايين مليون ميل) فمثلاً نجم منكب الجوزاء يبعد عن الأرض 300 سنة ضوئية فلو حدث انفجار في هذا النجم الآن فأننا لا نراه إلا بعد 300 سنة ؛ ربما أن النجوم تتباعد عن بعضها بسرعة هائلة جداً لذا فإنه لن يكون في نفس الموقع الذي حدث فيه الانفجار أثناء رؤيته بعد 300 سنة ضوئية لذا فأن الذي نراه هو موقع النجوم وليس النجوم نفسها.[3]

[1] – ينظر:زغلول النجار– السماء في القرآن – لبنان– دار المعرفة– ط.4– 1428ه– 2007م– ج : 04– ص :129.

[2] – ينظر : لطيف أحمد عبود – تيسير الرحيم الرحمن في الإعجاز العلمي للقرآن – (د.ط)– (د.ت)– ص : 150.

[3] – ينظر : عبد الرحيم بدر– الكون الأحدب– بيروت– دار العلم– ط.3– 1980م – ص : 153.

3 – نجوم حديثة التكون والولادة:

تولد بعض النجوم ولكنها تبقى غير مرئية حتى مرور مدة يصل الضوء منها إلينا ربما يستغرق مئات السنين الضوئية ، وفي هذه المدة لا ترى النجمة الوليدة ، ولكن عند وصول ضوئها إلينا ورؤيتها من قبلنا لا نراها في موقعها بل نراها في موقع أخر، وذلك لأن هذه المدة العظيمة من السنين الضوئية يكون النجم قد قطع في سرعته الخارقة ملايين الأميال وانتقل إلى موقع آخر.[1]

[1] – ينظر : أحمد زكي – مع الله في السماء – العراق– بغداد– مطبعة الديوان – (د.ط) – 1984م– ص : 18.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة

إن لفظ المواقع له أكثر من دلالة لغوية حسب ما ذكر سابقا، فيمكن حمله على معنى :

1- المواضع: أي أماكن حلول النجوم ومنازلها، وهو ما فسر به جمع من المفسرين كالإمام الطبري والطاهر بن عاشور، حيث يقول الأخير: "... ويطلق الوقوع على الحلول في المكان، يقال: وقعت الإبل ، إذا بركت ، ووقعت الغنم في مرابضها ، ومنه جاء اسم الواقعة للحادثة، فالمواقع محال وقوعها وخطوط سيرها ؛ والمواقع هي : أفلاك النجوم المضبوطة السير في أفق السماء، وكذلك بروجها ومنازلها "[1]، وعليه فالمواقع اسم مكان النجوم؛ وهذا ما يوافق التفسير العلمي من مواقع النجوم المنحرفة أو الخالية أو النجوم التي نشأت حديثا.

2- المساقط: وقد فسرها بعض أهل العلم القدامى بأماكن غروبها ،كما ورد في تفسير البغوي رحمه الله وصاحب التحرير والتنوير حيث يقول الأخير : "والوقوع يطلق على السقوط ، أي الهوى، فمواقع النجوم مواضع غروبها فيكون في معنى قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ﴾[2]. والقسم بذلك مما شمله قوله تعالى﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾[3] وجعل مواقع النجوم بهذا المعنى مقسما به لأن تلك المساقط في حال سقوط النجوم عندها تذكر بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب كل ليلة لا يختل ولا يتخلف"[4]

وبالمقارنة بالحقائق العلمية الخاصة بالنجوم، يمكن حمل المواقع على مواضع وقوع تلك النجوم أو مواضع سقوطها؛ وهو ما يعرف علميا بالثقوب السوداء في السماء فتكون هذه المواقع مقبرة للنجوم وأماكن هاوية لكل من يقترب منها.

وأخيراً يمكن القول أن كلمة "مواقع" احتملت في معانيها المختلفة دلالات لغوية، تفسيرية وفلكية متعددة كل يفهمها حسب ثقافته وزمانه وهو مناط إعجاز القرآن الكريم.

---

[1] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج: 28- ص :331.

[2] - سورة النجم- الآية :01.

[3] - سورة المعارج - الآية :40.

[4] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج: 28- ص :331.

المسألة الثالثة: معنى الخنس والجوار الكنس:

الآية التي ورد فيها ذلك:

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ ﴾[1]

المطلب الأول: التفسير اللغوي لألفاظ الآية.

1- التفسير اللغوي للخنس.

اتفق أصحاب المعاجم في بيان معنى "خنّس"، واختلفوا في تحديد معنى "الكنس"، قال الخليل (170هـ): "والخُنُوس : الانقباض والاستخفاء. والشيطان يوسوس في القلب فإذا ذكر الله خنس، أي انقبض. والخُنَّسُ: الكواكبُ الخَمْسَةُ التي تَجْري وتَخْنُس في مَجْراها حتّى يَخْتفي ضوء الشمس، وخنُوسُها: اختفاؤها بالنهار"[2].

وقال الجوهري (393هـ): "خَنَس عنه يخنس بالضم، أي: تأخر، وأخنسه غيرُه، إذا خلفه ومضى عنه والخَنَسُ: تأخُّر الأنف عن الوجه مع ارتفاعٍ قليل في الأرنبة... الخَنَّاسُ: الشيطان لأنّه يَخْنِسُ إذا ذُكر الله عزّ وجلّ . والخُنّسُ: الكواكب كلُّها، لإنّها تَخنِسُ في المغيب أو لأنَّها تَخْفى بالنهار. ويقال: هي الكواكب السّيارةُ منها دونَ الثابتة. ويقال سمِّيت خُنَّساً لتأخرها... "[3].

وقال ابن فارس(395هـ):" الخاء والنون والسين أصلٌ واحد يدلُّ على استخفاءٍ وتستر. قالوا: الخَنْس: الذهاب في خِفْية ... والخُنَّس : النجوم تخنس في المغيب. وقال قوم: سُمّيت بذلك لأنها تخفي نهاراً وتطلع ليلا... والبقرُ كلها خُنْسٌ"[4]

وقال ابن منظور (717هـ): "الكواكب الخنس: الدراري الخمسة تخنس في مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الظباء وهي: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لأنها تخنس

[1] - سورة التكوير- الآية :16-17.

[2] - الخليل- العين- مادة (خنس) - ج: 04- ص: 199.

[3] - الجوهري- الصحاح – مادة (خنس) -ج: 03- ص: 925.

[4] - ابن فارس- مقاييس اللغة- مادة (خنس) - ج: 02- ص: 223.

أحيانا في مجراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس وتكنس أي تستتر كما تكنس الظباء في المغار، وهي الكناس، وخنوسها استخفاؤها بالنهار "[1].

تدور معاني "خنس" في المعاجم اللغوية حول الاختفاء والاستتار والتواري، غير أن أصحاب المعاجم اختلفوا في تحديد "الخنس"، فذهب بعضهم إلى أنها الدراري الخمس وهي: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، وذكر بعضهم أنها النجوم كلها حين اختفائها وتواريها.

2- التفسير اللغوي للكنس.

يدور لفظ الكنس في اللغة حول الكسح ، قال الخليل (170هـ) :" الكَنْسُ: كَسْحُ القُمام على وَجْه الأرَضْ ... والكِناس مَولِجٌ للوحش (من البقر) ... وقوله جل ذكره الجوار الكنس النَّجوم التي تستمّر في مَجاريها، وتكِنس في مَخاويها، أي: مغايبها ومساقطها... "[2].

قال ابن منظور (717هـ): " كنس: الكنس: كسح القمام عن وجه الأرض ، كنس الموضع يكنسه بالضم كنسا : كسح القمامة عنه ، والمكنسة : ما كنس به ... وكنست النجوم تكنس كنوسا: استمرت في مجاريها ثم انصرفت راجعة "[3].

وقال أيضا: "... وكنوسها أن تغيب في مغاربها التي تغيب فيها، وقيل: الكنس الظباء والبقر تكنس أي تدخل في كنسها إذا اشتد الحر، قال: والكنس جمع كانس وكانسة . وقال الفراء في الخنس والكنس: هي النجوم الخمسة تخنس في مجراها وترجع، وتكنس تستتر كما تكنس الظباء في المغار"[4].

ذكر أصحاب المعاجم أن معنى " كنس " هو كسح ، والجوار الكنس هي النجوم تستتر في مغاربها التي تغيب فيها ، كما تستتر الظباء والبقر في مغاراتها.

---

[1] - ابن منظور- لسان العرب - مادة (خنس) - ج: 05 - ص: 168.

[2] - الخليل- العين- مادة (كنس) - ج: 05- ص: 312.

[3] - ابن منظور- لسان العرب - مادة (كنس) - ج: 13 - ص: 119.

[4] - المصدر نفسه- نفس الصفحة.

المطلب الثاني: تفسير الآية عند القدامى والمحدثين

1- تفسير الآية عند القدامى:

اختلف المفسرون في المراد بمعنى الآية تبعا لاختلافهم في معنى الخنس والكنس؛ فقال الطبري(310هـ) رحمه الله : "إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها : مكنس وكناس".[1]

وذكر ابن الجوزي (597هـ) قولا آخر فقال: "المراد (بالخنس الجوار الكنس): الملائكة حكاه الماوردي"[2].

وقال أبو حيان (745هـ): "قال الجمهور: الدراري السبعة: الشمس، والقمر، وزحل وعطارد والمريخ، والزهرة، والمشتري، وقال علي : الخمسة دون الشمس والقمر ، تجري الخمسة مع الشمس والقمر ، وترجع حتى تخفى مع ضوء الشمس".[3]

وأورد كذلك قولا آخر نصه "...وقال عبد الله، والنخعي، وجابر بن زيد وجماعة: المراد بالخنس الجوار الكنس: بقر الوحش؛ لأنها تفعل هذه الأفعال في كنائسها، وقال ابن عباس، وابن جبير، والضحاك :هي الظباء، والخنس من صفة الأنوق لأنها يلزمها الخنس".[4]

وقال ابن كثير (747هـ) رحمه الله : "هي النجوم الدراري الخمسة تخنس في مجراها فترجع وتكنس، فتستتر كما تكنس الظباء في المغار، والنجوم الخمسة: بهرام وزحل، وعطارد والزهرة، والمشتري".[1]

ورد في التفاسير المذكورة أن "الخنس الجوار الكنس" له معان عدة منها :

---

[1] - الطبري- جامع البيان - ج : 24- ص: 250.

[2] - ابن الجوزي- زاد المسير - ج : 09- ص: 41.

[3] - ينظر: أبو حيان- البحر المحيط - ج: 08- ص: 434.

[4] - المصدر نفسه – نفس الصفحة.

[1] - ابن كثير – تفسير القرآن العظيم- ج: 08- ص: 337.

بقر الوحش أو الظباء تخنس أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانسها؛ ومن معانيها الملائكة، وقد ورد هذا عن الماوردي؛ وذكر الجمهور أن المراد بها: الدراري السبعة: الشمس، والقمر، وزحل وعطارد والمريخ ، والزهرة، والمشتري ، وقصرها آخرون على الخمس دون السبع تجري مع الشمس والقمر، وترجع حتى تخفي مع ضوء الشمس.

2- تفسير الآيات عند المحدثين من أهل التفسير:

بخلاف من فسر الخنس الجوار الكنس من القدامى بالملائكة وبقر الوحش والظباء ؛ تواطأت تفاسير المحدثين على أن المراد بها عين الكواكب، واختلفوا في تحديد عددها؛ يقول ابن عاشور(1394هـ): "والخنس: جمع خانسة، وهي التي تخنس أي: تختفي ؛ والجواري: جمع جارية ، وهي التي تجري، أي: تسير سيرا حثيثا ؛ والكنس: جمع كانسة، يقال: كنس الظبي، إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذه للمبيت".[1]

ثم يبين رحمه الله أنها صفات مجازية وإنما يراد بها عين الكواكب فيقول : " وهذه الصفات أريد بها صفات مجازية ؛ لأن الجمهور على أن المراد بموصوفاتها الكواكب، وصفن بذلك لأنها تكون في النهار مختفية عن الأنظار، فشبهت بالوحشية المختفية في شجر ونحوه ".[2]

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري : "الخنس: التي تخنس بالنهار، أي تختفي وتظهر بالليل؛ والجوار الكنس: التي تجري أحيانا وتكنس في مكانسها أحيانا أخرى، والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش، وهي الدراري الخمسة: عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل"[1].

ويقول الزحيلي: "أقسم بالكواكب جميعها التي تخنس، أي تختفي بالنهار وتكنس بالليل، أي تظهر بالليل في أماكنها، كمنا تظهر الظباء من كنسها أي بيوتها، والمراد بها: الكواكب السبعة: الشمس، والقمر، وزحل وعطارد والمريخ، والزهرة، والمشتري."

---

[1] - الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج: 31- ص :153.

[2] - المصدر نفسه - ص: 153.

[1] - أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير- ج : 3- ص :483.

يتضح من التفاسير المذكورة، أن أصحابها بدورهم لا يفرقون بين النجوم والكواكب، وقد بين العلم الحديث الفرق بينهما، غير أن ما يميزهم عن القدامى هو اقتصارهم على ظاهر اللفظ، فحملوا النجوم في الآية على حقيقتها، ومع هذا الاتفاق فقد اختلفوا في ضبط عددها، فذكر بعضهم أنها سبعة، وهو رأي الجمهور، وقصرها آخرون على خمس.

المطلب الثالث: التفسير العلمي المعاصر .

أثبت العلم الحديث الحقائق العلمية التالية، والتي يمكن أن تكون شواهد علمية تربط ويفسر بها قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ تفسيراً حديثاً يتوافق ما وصل إليه العلم:

1- اكتشف العلماء أن ا لمذنبات وهي أجرام سماوية ضئيلة الكتلة ومستطيلة بذنبها إلي ما قد يصل إلى150 مليون كيلو متر ، تتحرك في مدارات حول الشمس، بيضاوية تقع الشمس في أحد طرفيها ونحن نراها كلما اقتربت من الشمس ، وهذه المدارات لا تتبع قوانين الجاذبية بدقة ، وتتميز بشي من اللامركزية ، وبميل أكبر علي مستوي مدار الأرض ، مما يجعل المذنبات تظهر وتختفي بصورة دورية على فترات تطول وتقصر[1].

2- اكتشف علماء الفلك كذلك وجود ما يعرف بالثقوب السوداء في الكون وهي أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة ، بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها، ويحد الثقب الأسود سطحا يعرف باسم أفق الحدث ، وكل ما يسقط داخل هذا الأفق لا يمكنه الخروج منه، أو إرسال أية إشارة عبر حدوده.[1]

تبعا لهذه الحقائق العلمية اختلف العلماء الفلكيون المسلمون المعاصرون في ربطها بالوصف القرآني: (الخنس الجواري الكنس) فبعضهم ذهب إلى أن المراد بها : المذنبات التي تختفي وتظهر ورأى آخرون بأنها تعني الثقوب السوداء العملاقة.

[1] - ينظر : منصور محمد حسب النبي- الكون والإعجاز العلمي للقرآن- ص : 140.

[1] - زغلول النجار– تفسير الآيات الكونية - ج : 04- ص: 350.

المطلب الرابع: تحليل ومناقشة.

دلت الآية على الرغم من قصرها على إشارات ومعانٍ عديدة لا يمكن حصرها تسع اللغويين والمفسرين وعلماء الفلك من المسلمين المعاصرين؛ فالخنس تحمل معاني مختلفة وهي الانقباض والاستخفاء والتأخر فيمكن حمل معنى خنس على:

1-**الانقباض**: وهو ما فسر به علميا على حقيقة الانقباض و الانكماش الذي يحدث في النجوم عند عندما تحرق وقودها وتتقدم في السن، فيتحول بعضها بعد موتها إلى أقزام بيض.

2- **الاستخفاء**: وهو ما يحدث للنجوم عندما تتحول إلى حالة خطيرة في أواخر حياتها وحينها تعرف بالثقوب السوداء، فتختفي تماماً عن أعين الناظرين ، فهي موجودة حقاً لكن لا نراها فالاستخفاء هنا جاء على الحقيقة وليس على المجاز.

كما يمكن حمل الكنس على الحقيقة أي بمعنى :

1- الكسح: ككسح القُمام ،كما ورد عند بعض اللغويين وهو يوافق التفسير العلمي القائل بأن الثقوب السوداء نجوم سماوية لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها ، فهي تكنس الفضاء.

2- **الستر والاستخفاء**: وبه قال أكثر المفسرين على استخفاء النجوم في مغايبها، وهذا الرأي يوافقه التفسير العلمي من وجهة نظر القائلين باختفاء النجوم عن أعين الناظرين وتحولها إلى نجوم نيوترونية غير مرئية وثقوب سوداء.

أما بالنسبة لمن ذهب من أهل العلم بأنها الملائكة فلا يمكن التعويل عليه ، فليس له وجه لغوي ولا شاهد بالاعتبار من أثر؛ والحكم نفسه بالنسبة للقائلين بأنها الظباء أو الأبقار، اللهم إلا أخذا بالمجاز، أي إذا قصد منه تشبيه خفاء النجوم عند غروبها بخفاء الظباء أو البقر الوحشي بكناسها.

إنّ آية الكنّس وإن كانت محدودة المبنى إلاّ أنّها دلت على معانٍ لغوية وعلمية عديدة يعجز الإنسان عن حصر هذه المعاني ودلالاتها، بل تتجدد المعاني بتجدد المعارف والعلوم وهذا من إعجاز القرآن الكريم، ويمكن القول أن التفسير العلمي خدم تفسير كتاب الله في هذه الآية خدمة جليلة ، بإضافة معان علمية جديدة تتماشى ومعارف الناس وعلومهم وحضارتهم.

خاتمة

وآفاق البحث

خاتمة وآفاق البحث:

يمكن إجمال أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

1. منشأ الخلاف في قبول التفسير العلمي أو رده، هو الخلط بين مفهوم التفسير العلمي والإعجاز العلمي في كثير من الحالات.
2. التفسير العلمي للقرآن الكريم زاد كثيرا من الآيات الكونية وضوحا وبيانا بل وأعطى رؤية واضحة لمفهومها، ومن هنا تكمن أهميته في خدمة كتاب الله تعالى.
3. التفسير العلمي زاد من توسيع المعاني القرآنية التي تحتملها الآية الواحدة، حيث أضاف معان جديدة تحتملها الآيات الكونية بما يناسب ثقافة هذا العصر ومعارفه وأدوات علومه.
4. استفادة أهل التفسير العلمي من بعض المعاني للألفاظ التي ذكرها اللغويون، واستبعدها القدامى بسبب عدم معرفتهم بالحقيقة العلمية التي أشارت إليها كثير من الآيات القرآنية.
5. القراءات القرآنية ميدان خصب لاستنباط الحقائق العلمية، فقد تشير قراءة إلى حقيقة علمية لا تشير إليها قراءة أخرى أو قد تشير القراءة إلى جانب من هذه الحقيقة ، وتشير قراءة أخرى إلى جانب آخر.
6. يمكن اعتبار التفسير العلمي المبني على حقائق قطعية يقينية قرينة للترجيح بين أقوال المفسرين الاجتهادية، ولوحظ هذا في البحث جليا في مسألة المراد بالبحرين في سورة الرحمان.

ويبقى الموضوع أرضا خصبة للدارسين وللباحثين، ومن آفاقه:

- إيجاد أكاديمية للإعجاز العلمي لتخريج متخصصين، وغلق الباب على الأدعياء.
- تبسيط حقائق الإعجاز العلمي، وإدخالها في المناهج التربوية لإعداد جيل يفهم آيات الآفاق والأنفس.
- تكوين فريق مشترك من تخصصات مختلفة كل يخدم كتاب الله حسب تخصصه.
- توظيف هذا النوع من التفسير للدعوة إلى الله خصوصا لغير المسلمين الذين يؤمنون بحقائق العلم.

فهرس

الآيات القرآنية

فهرس الآيات

الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ بَلىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	البقرة	80	11
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾	البقرة	185	28
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	الأنعام	36	25
﴿ لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْراً ﴾	الأنعام	58	107
﴿ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	الأنعام	83	08
﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾	الأنعام	127	08
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف	33	14
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾	الأعراف	53	15

فهرس الآيات

﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	الأنفال	48	55
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	الأنفال	61	10
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	التوبة	04	56
﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	يونس	05	127
﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾	الرعد	42	55
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾	إبراهيم	31	111

فهرس الآيات

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾	النحل	10	76
﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	النحل	15	76
﴿ بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	النحل	44	09
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	النحل	189	13
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَاتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	الأنبياء	44	55
﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾	النور	39	85
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	الفرقان	33	01
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾	الفرقان	53	97

فهرس الآيات

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	النمل	95	62
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	لقمان	13	09
﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾	يس	37	104
﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾	يس	38	112
﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾	يس	38	119
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	ص	28	05
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾	فصلت	52	36
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	محمد	25	05
﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾	النجم	11	148
﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾	الرحمان	22–19	93

فهرس الآيات

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾	الواقعة	75–74	142
﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾	النبأ	7–6	70
﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ﴾	النازعات	25	10
﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾	النازعات	30	63
﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾	النازعات	31	64
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾	التكوير	17–16	149
﴿ وَالسَّمَآءِ وَالطارِقِ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾	الطارق	3–1	133

فهرس

الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث

التسلسل	طرف الحديث الشريف	رقم الصفحة
01	أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ.....	107
02	إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة.....	37
03	إِنَّهُ لَيسَ بِذَاكَ أَلَا تَسمَعُونَ إِلَى.....	69
04	مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ.....	106
05	لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ.....	36

فهرس

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

* الكتب المطبوعة:

01 أحمـــد أبـــو حجـــــر – التفسير العلمي في الميزان – بيروت- دار قتيبة- ط.1- 1411هـ-1991م.

02 أحمـــــــد جـــــاد – موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية- مصر- القاهرة- دار الغد الجديد- ط.1- 1430هـ-2009م.

03 أحمـــــد حسن فرحـــات- في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق- الأردن- دار عمار- (د.ط)- 1421هـ- 2001م.

04 أحمـــــــد زكـــــي – مع الله في السماء – العراق- بغداد- مطبعة الديوان – (د.ط) – 1984م.

05 أحمـــد محمـــد أبو الغيـــط – العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة- دار البحوث العلمية-(د.ط)- 1403 هـ- 1983 م.

06 أحمـــد محمـــود سليمـــان – القرآن والطب – لبنان – بيروت – دار العودة –(د.ط)-(د.ت).

07 الأدنـــــروي أحمد بن محمـــد – طبقات المفسرين – ت: سليمان بن صالح الخزي- المدينة المنورة- مكتبة العلوم والحكم- ط.1- 1997م.

08 أســـعـــد محمـــود حـــومـــد – أيسر التفاسير- سوريا- دمشق- ط. 4- 1419هـ- 2009م.

09 الأصفهاني عبد الله بن محمـــد- كتاب العظمة- ت: رضاء الله بن محمد إدريس

المباركفوري – الرياض – دار العاصمة – ط.1- 1408هـ.

10 **الألوسي محمود أبو فضل-** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي – (د.ط)- (د.ت) .

11 **أمين الخولي –** التفسير نشأته، تدرجه، تطوره–بيروت –دار الكتاب اللبناني-ط.1- (د.ت).

12 **البغوي الحسين بن مسعود –** معالم التنزيل-ت: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش- دار طيبة- ط. 4 - 1417هـ- 1997م.

13 **البقاعي برهان الدين –** نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- القاهرة- دار الكتاب الإسلامي- (د.ط)- (د.ت).

14 **بن خلكان شمس الدين أحمد –** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-،ت: إحسان عباس–بيروت-دار صادر-ط.1- 1994م.

15 **البيضاوي عبد الله محمد –** أنوار التنزيل وأسرار التأويل- لبنان – بيروت – دار الأيمان – ت : محمد صبحي – ط. 1- 1421هـ- 2000م.

16 **ابن تيمية أحمد الحراني –** مقدمة في أصول التفسير – ت: عدنان زرزور- ط.2- (د.ت).

17 **الثعالبي عبد الملك بن محمد –** فقه اللغة وسر العربية-القاهرة-مطبعة الاستقامة - (د.ط)، (د.ت).

18 **الجرجاني علي بن محمد –** التعريفات- مصر- المطبعة الخيرية- ط. 1- 1306هـ.

19 **الجزائري أبو بكر جابر –** أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير–المدينة المنورة- مكتبة العلوم والحكم –ط.3- 1418هـ-

1997م.

20 ابن جزي محمد بن أحمـــــــد – التسهيل لعلوم التنزيل- بيروت- دار الكتب العلمية- ط.1- 1415هـ -1995م.

21 ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي– زاد المسير في علم التفسير - لبنان- بيروت- المكتب الإسلامي – ط.3- 1404هـ .

22 الجوهـــــري إسماعيل حمـــاد – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) – ت: أحمد عبد الغفور العطار -بيروت-لبنان-دار العلم للملايين-ط.4-1407هـ- 1987م.

23 أبو حيـــان محمد بن يوسف – تفسير البحر المحيط -ت: عادل أحمد عبد الموجود-بيروت– دار الكتب العلمية- ط. 1- 1413هـ- 1993م.

24 الخليـــل بن أحمد الفراهيدي – العين- ت: مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي–العراق-بغداد-دار الهلال للنشر– (د.ط)-1981م.

25 داوود ســـلمـــان السعـــــدي– أسرار الكون في القرآن-لبنان –بيروت-دار الخزف العربي- ط.4- 2011م.

26 الـــداوودي محمد بن علـــي– طبقات المفسرين -بيروت-دار الكتب العلمية- ط.1-1403هـ-1983م.

27 الـــذهـــبي محمد بـدن أحمـد– معجم المحدثين-ت : د. محمد الحبيب الهيلة- الطائف-مكتبة الصديق-، ط. 1-1408هـ.

28 الـــذهـــبي محمد بـدن أحمـد– ميزان الاعتدال- ت : علي محمد عوض - دار الكتب العلمية – ط. 1- 1416 هـ- 1995م.

29 الـــذهـــبي محمـــد حـــسيـــن – التفسير والمفسرون- القاهرة- مكتبة وهبة- ط.7- 2000م.

30 الـــــرازي فـــخر الـديـن– التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب – لبنان– بيروت– دار الكتب العلمية–ط.1– 1421هـ – 2000م.

31 الــرازي محـمد بن أبي بكـــر – مختار الصحاح – لبنان–بيروت– دار الكتاب العربي–(د.ط)، (د.ت).

32 رعـد طاهـــر رشيـد العمري– الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – كلية الأركان – جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا – (د.ط)– (د.ت).

33 الــزرقاني محمد عبـــد العظيـــم– مناهل العرفان– ت: فواز أحمد زمرلي–بيروت– دار الكتاب العربي– ط. 1– 1415هـ– 1995م.

34 الزركـــشي بدر الدين محمـــد – البرهان في علوم القرآن– ت : محمد أبو الفضل إبراهيم– القاهرة– مكتبة دار التراث–(د.ط)– (د.ت).

35 الزركلي خير الدين بن محمـــود – الأعلام – دار العلم للملايين– ط. 15– 2002 م.

36 زغـــلـــول راغـــــب النجـــار– الأرض في القرآن– لبنان– دار المعرفة– ط. 2– 1427هـ–2006م.

37 زغـــلـــول راغـــــب النجـــار– تفسير الآيات الكونية– مكتبة الشروق الدولية– ط.1– 1428هـ– 2007م.

38 زغـــلـــول راغـــــب النجـــار– حقائق علمية في القرآن الكريم– بيروت– دار المعرفة– ط.4– 1429هـ– 2008 م.

39 زغـــلـــول راغـــــب النجـــار– السماء في القرآن الكريم– لبنان– دار المعرفة– ط.4– 1428هـ– 2007م.

40 الــزمخشـري محمود بن عمـــر– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل عن

وجوه التأويل- لبنان- بيروت-دار إحياء التراث العربي- ط.1- 1404هـ - 2003م.

41 **السبكي تاج الدين بن علي -** معجم الشيوخ- ت: الدكتور بشار عواد- رائد يوسف العنبكي وغيرهما- دار الغرب الإسلامي- ط.1 - 2004م.

42 **السبكي تاج الدين بن علي -** جمع الجوامع في أصول الفقه-ت : عبد المنعم خليل إبراهيم- لبنان-بيروت-دار الكتب العلمية-ط.2- 1424هـ- 2003م.

43 **السبكي تاج الدين بن علي -** طبقات الشافعية الكبرى - ت: د. محمود محمد الطناحي و د.عبد الفتاح محمد الحلو-هجر للطباعة والنشر والتوزيع-ط.2- 1413هـ.

44 **سليمان الطيار -** مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر- دار ابن الجوزي - ط.2- 1427هـ.

45 **سليمان بن صالح القرعاوي-** التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الأعجاز العلمي للقرآن الكريم- الرياض- دار الحضارة للنشر والتوزيع-ط.1-1425هـ- 2004م.

46 **سيد قطب -** في ظلال القرآن- القاهرة- دار الشروق- ط. 2- 1423هـ-2003م.

47 **السيوطي جلال الدين -** الإتقان في علوم القرآن- ت: سعيد المندوب - لبنان - دار الفكر- 1416هـ - 1996م.

48 **السيوطي عبد الرحمن جلال الدين** ـ الدر المنثور- لبنان- بيروت- دار الفكر- د.ط- 1993م .

49 **السيوطي جلال الدين -** طبقات المفسرين -ت: علي محمد عمر- مكتبة وهبة- ط.1- 1396هـ- 1976م.

50 **السيوطي جلال الدين والمحلى -** تفسير الجلالين -بيروت—صيدا-المكتبة العصرية-

جلال الدين (د.ط)- (د.ت).

51 الشـــاطبي إبراهيم بـــن موسى – الموافقات في أصول الفقه – دار ابن عفان- 1418 هـــ- 1997م.

52 شـــاكـــر عبـــد الجبـــار – القرآن إعجاز يتعاظم – بغداد – مطبعة الحوادث – ط.1- 1985م.

53 الشـعـراوي محمـــد متـولـي- المنتخب في تفسير القرآن الكريم – بيروت – دار العودة للطباعة والنشر-(د.ط)- 1980م.

54 شـــوقـــــــي ضيـــــــف – سورة الرحمن وقصار السور – عرض ودراسة – مصر- دار المعارف – ط.3– (د.ت).

55 الشوكـــاني محمـــــد بن علـــي- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – بيروت –دار الفكر – (د.ط) – (د.ت).

56 الشوكـــاني محمـــــد بن علـــي- إرشاد الفحول من تحقيق الحق من علم الصول- ت: سامي بن العربي- الرياض- دار الفضيلة- ط.1- 1421هـــ- 2000م.

57 الصـــــــابـوني محمـــد علي – التبيان في علوم القرآن- عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- ط.1- 1985م.

58 الصـــــــابـوني محمـــد علي – صفوة التفاسير – لبنان- بيروت- دار القرآن الكريم – ط4 – 1402 هـــ – 1981م .

59 صلاح عبـــد الفتـــاح الخالدي – البيان في إعجاز القرآن- دار عمار للنشر والتوزيع- ط.3- 1992م.

60 صلاح عبـــد الفتـــاح الخالدي – سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد – بيروت- دار القلم – الدار الشامية- ط.2- 1414هـــ – 1994 م.

61 **الطبري محمد بن جرير** - جامع البيان في تأويل آي القرآن -لبنان- بيروت- دار الفكر – 1405 هـ.

62 **طنطاوي جوهري** - الجواهر في تفسير القرآن الكريم – مصر- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - ط2- 1350هـ.

63 **عادل بن علي الشدي**- التفسير العلمي للقرآن الكريم- الرياض- مدار الوطن للنشر- ط.1- 1431هـ- 2010م.

64 **عادل نويهض**- معجم المفسرين- مؤسسة نويهض الثقافية – ط.3-1409هـ-1988م.

65 **عائشة عبد الرحمن**- القرآن وقضايا الإنسان - القاهرة – دار المعارف-(د.ط)- (د.ت).

66 **عباس محمود العقاد** - الإسلام دعوة عالمية - بيروت- دار الكتاب اللبناني- ط.3- 1986م.

67 **عباس محمود العقاد** - الفلسفة القرآنية – دار نهضة مصر للطباعة والنشر-(د.ط)- (د.ت).

68 **عبد الجبار شاكر** - القرآن يفك لغز الأرض - بغداد - مطبعة أسعد – ط.1- 1985م.

69 **عبد الرحيم بدر**- الكون الأحدب- بيروت - دار العلم- ط. 3- 1980م.

70 **عبد الرزاق نوفل** - الله والعلم الحديث - القاهرة - دار الكتب – القاهرة- (د.ط)- 1971م.

71 **عبد العزيز إسماعيل** - الإسلام والطب الحديث- تقديم للشيخ المراغي- الشركة العربية للطباعة والنشر- ط. 2- 1959م.

72 **عبد الله عبد الرحيم العبادي** – العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه – قطر –

الدوحة – دار الثقافة – 1405هـ – 1985م.

73 عبد الله محمد محمود – الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن- الوراق للنشر والتوزيع- ط.1- 2009م.

74 عبد المجيد المحتسب – اتجاهات التفسير في العصر الراهن- الأردن- مكتبة النهضة الإسلامية- ط.3- 1402 هـ- 1982 م.

75 عزت محمد خيري – دلائل الحق في عظمة الخالق – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر- القاهرة- (د.ط)- 1972م.

76 العسقلاني أحمد بن علي – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ت :محمد عبد المعيد ضان – مجلس دائرة المعارف العثمانية—(د.ط)-1392هـ- 1972م.

77 ابن عطية عبد الحق الأندلسي – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ت : عبد اله بن إبراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد إبراهيم – قطر- الدوحة- مؤسسة دار العلوم – الدوحة— ط. 1- 1409هـ – 1989م .

78 غانم الحمد القدري – محاضرات في علوم القرآن- الأردن- دار عمار للنشر- ط.1- 1423هـ-2003.

79 الغزالي أبو حامد محمد – إحياء علوم الدين —مكتبة كرياتا فوترا سماراغ – (د.ط)- (د.ت).

80 الغزالي أبو حامد محمد – جواهر القرآن- ت : محمد رشيد رضا القباني- بيروت- دار إحياء العلوم-ط.3- 1411هـ- 1990م.

81 ابن فـــارس أحمد ابن زكـــرياء – معجم مقاييس اللغة – ت : عبد السلام محمد هارون– دار الفكر للطباعة والنشر– (د.ط)– 1399هـــ–1979م.

82 فهـــــد الـــــرومـــــــي – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر– الرياض– مكتبة التوبة– ط.9– 1421هـــ.

83 فهد خليـــــــل زايـــــــد – الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم– الأردن– دار النفائس– ط. 1– 1428هـــ– 2008م.

84 الفيروز أبادي محمد بن يعقوب – القاموس المحيط– بيروت – مؤسسة الرسالة– ط.8– 1426هـــ– 2005م.

85 الفيـــومـــي أحمـــد بن محمـــد – المصباح المنير– بيروت– مكتبة لبنان– 1987م.

86 القـــاسمـــي محمـــد جمال الدين – محاسن التأويل– دار إحياء الكتب العربية– ط.1– 1386هـــ –1957م.

87 القرطـــبي محمـــد بن أحمـــد – الجامع لأحكام القرآن –ت: أحمد بن أحمد البردوني –مصر– القاهرة– دار الشعب– ط.2– 1372هـــ .

88 ابن كثيـــر إسماعيل بن عمـــر – تفسير القرآن العظيم –لبنان –بيروت– دار الفكر–1401هـــ.

89 لطيـــف أحمـــــــد عبـــود – تيسير الرحيم الرحمن في الإعجاز العلمي للقرآن – (د.ط)– (د.ت).

90 مـــــالك بـــــن نـــبـــــي – الظاهرة القرآنية – ترجمة عبد الصبور شاهين – سوريا– دمشق– دار الفكر– ط. 4– 1420هـــ– 2000م.

91 مـــحمـــد أبـــو شـــهبـــــة – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث – القاهرة – مكتبة السنة –

ط.4- 1408هـ.

92 **محمد إسماعيل إبراهيم** – القرآن وإعجازه العلمي – القاهرة- دار الفكر العربي- (د.ط) – (د.ت).

93 **محمد السيد أرناؤوط** – الإعجاز العلمي في القرآن –القاهرة-مكتبة مدبولي- (د.ط)–1989م.

94 **محمد الطاهر بن عاشور** – تفسير التحرير والتنوير- تونس- الدار التونسية للنشر- (د.ط)- 1984م.

95 **محمد بن لطفي الصباغ** – لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير – المكتب الإسلامي- ط. 3- 1410 هـ- 1990م.

96 **محمد جمال الدين الفندي** – الله والكون- الهيئة المصرية العامة للكتاب – (د.ط)- 1976م.

97 **محمد رشيد رضا** – تفسير القرآن الحكيم- المشهور بتفسير المنار- بيروت – دار المنار للطباعة والنشر – ط. 1- 1366هـ - 1948 م.

98 **محمد شلتوت** – تفسير القرآن الكريم- الأجزاء العشرة الأولى – بيروت- دار الشروق – ط. 6- 1394هـ - 1974م.

99 **محمد عبد الله الشرقاوي** – الكون والقرآن- القاهرة- مكتبة الزهراء- (د.ط)- (د.ت).

100 **محمد عزة دروزة** – القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه وأثره وجمعه وترتيبه – صيدا –بيروت – منشورات المكتبة العصرية- (د.ط)- (د.ت).

101 **محمد فؤاد عبد الباقي** – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- القاهرة- مطبعة دار الكتب المصرية – (د.ط)- 1364

هـ.

102 **محمـــد كامـل عبد الصمـد-** الإعجاز العلمي في الإسلام - القاهرة – دار المصرية- ط.4- 1417هـ – 1997م.

103 **محمـــد مرتضـى الحسينـي –** تاج العروس من جواهر القاموس - دار الفكر - (د.ط) – (د.ت).

104 **محمـــد وفـــا الأميـري –** الإشارات العلمية في القرآن الكريم - ط. 2- 1401هـ.

105 **محمـود محمـــد شـاكـــر-** مداخل إعجاز القرآن-جدة- دار المدني- ط.1- 1423هـ- 2002م.

106 **مـخـلـــص الريـــس –** الكون والحياة من العدم حتى ظهور الإنسان – سوريا - دار دمشق-ط.1- 1997م.

107 **المـراغـي أحمـد مصطفى –** تفسير المراغي - مصر- مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – (د.ط)- (د.ت).

108 **مصطـــفى الدبـــاغ –** وجوه من الإعجاز العلمي - الأردن - مكتبة المنار – ط.2-(د.ت).

109 **مصطـــفى صـادق الرافعي –** إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- بيروت- دار الكتاب العربي-ط.9- 1393هـ- 1973م.

110 **منـــــاع القـطـــان –** مباحث في علوم القرآن- القاهرة – مكتبات وهبة – ط7- (د.ت).

111 **منـصور محمـــد حسب النبي-** المعارف الكونية بين العلم والدين–مصر– القاهرة- دار الفكر العربي-1418هـ– 1998م.

112 **موســـى شاهيـــن لاشيـن-** اللآلئ الحسان في علوم القرآن – القاهرة- دار الشروق- ط.1- 1423- 2002م.

113 **الرسفـي عبد الله بـن أحمـد –** مدارك التنزيل وحقائق التأويل– لبنان- بيروت-

دار الكتاب العربي- (د.ط)، (د.ت).

114 نعيـــــــم الـحمـــــصي – فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر- بيروت – مؤسسة الرسالة- ط. 2- 1400هـ-1980م.

115 هشام جمـال الديـــن عبد الله- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ت: محمد الخطيب – الكويت- التراث العربي- ط. 1- 1421 هـ-2000م.

116 هشـــــــام طـــالـــب – بناء الكون ومصير الإنسان- لبنان- دار المعرفة- ط.1- 1427هـ-2006م.

117 هنـــــــد شـلبـــــــي – التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – تونس- 1406هـ-1985م.

118 وهبـــــــة الزحيـلـــــي – التفسير الوسيط- سورية- دمشق- دار الفكر- ط.1- 1422هـ- 2001م.

الرسائل الجامعية:

01 أشرف أحمد محمـــــد عماشة – الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرى دراسة مقارنة، جامعة المنوفية كلية الآداب، المشرف: الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي – رسالة ماجستير.

02 خـــالد بـــن عميـــور – الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم، جامعة الأمير عبد القادر المشرف: أ.د عمر بوقرورة – رسالة ماجستير.

03 رشاد عبد الواحد سعيد الكامل – تطابق بعض الظواهر الجغرافية مع الآيات القرآنية

في بعض سور القرآن – رسالة ماجستير 2007. جامعة اليمن .

04 **محمـــــد كـــــمال إبراهيـــم** – الآيات الكونية والإنسانية في تفسير التحرير والتنوير دراسة تقويمية، جامعة الأزهر – رسالة دكتوراه.

05 **عبد الله بن عبد الله الأهـــدل** – التفسير العلمي للقرآن الكريم ، دراسة وتقويم- رسالة ماجيستير- 1402 هـــ.

06 **فاطمة محمـــــد عايد عبيدية** – الماء في آيات القرآن الكريم- فلسطين- نابلس- جامعة النجاح الوطنية- رسالة ماجيستير- 2003م.

المجلات والدوريات:

01 **بلخثيـــــر بـــــومديـــــــن** – التفسير العلمي للقرآن الكريم (دراسة مفتاحية)- مجلة الإنسان والمجتمع- جامعة تلمسان- 2011م- العدد 01.

02 **محمد بن عبد الرحمان الشايـــع** – التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين- مجلة الإمام محمد بن سعود- 1411هـــ- 1991م- العدد04.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

- إهداء .....
- شكر وتقدير .....
- مقدمة ..... أ

مدخـــل
17 - 01

- ✓ التفسير لغة واصطلاحا 01
- ✓ حاجة الأمة إلى التفسير 05
- ✓ أنواع التفسير 07
- ✓ التفسير بالمأثور وحجيته 07
- ✓ التفسير بالرأي وحجيته 12
- ✓ التأويل لغة واصطلاحا 15
- ✓ الفرق بين التفسير والتأويل 16

الفصل الأول:
53 - 18
التفسير العلمي وعلاقته بالإعجاز

- ❖ **تمهيد: التفسير بالرأي وعلاقته بالتفسير العلمي** 18
- ❖ **المبحث الأول: التفسير العلمي بين القبول والرفض** 19
  - ✓ المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتفسير العلمي 19
  - ✓ المطلب الثاني: العلماء الرافضون للتفسير العلمي وأدلتهم في ذلك 24
  - ✓ المطلب الثالث: العلماء المؤيدون للتفسير العلمي وأدلتهم في ذلك 31
  - ✓ المطلب الرابع: مناقشة آراء الفريقين والترجيح 39
- ❖ **المبحث الثاني: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والفرق بينه وبين التفسير العلمي** 43
  - ✓ المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي لإعجاز القرآن 43
  - ✓ المطلب الثاني: المعجزة وشروط تحقق الإعجاز 46

✓ المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم 48
✓ المطلب الرابع: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي 50

الفصل الثاني:

101 - 52

المعاني والإشارات القرآنية المتعلقة باليابسة والماء

❖ **المبحث الأول: تفسير الآيات المتعلقة بالأرض** 54
✓ المسألة الأولى: نقصان الأرض من أطرافها 55
✓ المسألة الثانية: شكل الأرض 62
❖ **المبحث الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بالجبال** 68
✓ المسألة الأولى: شكل الجبال 69
✓ المسألة الثانية: وصف القرآن للجبال بالرواسي 75
❖ **المبحث الثالث: تفسير الآيات المتعلقة بالبحار** 84
✓ المسألة الأولى: ظلمات البحر 84
✓ المسألة الثانية: البرزخ بين البحرين 92

الفصل الثالث:

153 - 102

المعاني والإشارات القرآنية المتعلقة بالمجموعة الشمسية

❖ **المبحث الأول: تفسير الآيات المتعلقة بالشمس** 103
✓ المسألة الأولى: حركة الشمس 103
✓ المسألة الثانية: الشمس لا تدرك القمر 111
❖ **المبحث الثاني: تفسير الآيات المتعلقة بالقمر** 118
✓ المسألة الأولى: المراد بمنازل القمر 118
✓ المسألة الثانية: الفرق بين ضياء الشمس ونور القمر 126

❖ **المبحث الثالث: تفسير الآيات المتعلقة بالنجوم** **131**

- ✓ المسألة الأولى: النجم الثاقب **131**
- ✓ المسألة الثانية: مواقع النجوم **140**
- ✓ المسألة الثالثة: معنى الخنس والجوار الكنس **147**

❖ **خاتمة** **154**

- فهرس الآيات **155**
- فهرس الأحاديث **160**
- فهرس المصادر والمراجع **161**
- فهرس الموضوعات **175**

ملخص :

هذه الدراسة تبحث في الآيات القرآنية التي أشارت إلى بعض الظواهر الكونية مع بيان نظرة السلف و الخلف لها بوجه يقضي إلى المقارنة.

وتكمن أهمية البحث في إبراز دور التفسير العلمي في زيادة توضيح معاني الآيات الكونية و إضافة معان جديدة أخرى لها تناسب ثقافة هذا العصر و أدوات علومه

كلمات مفتاحية:_تفسير – علمي – إعجاز – ظواهر – كونية – قدامى – محدثين.

Résumé : Cette étude disserte sur les versets coraniques qui indiquent les phénomènes universels en y exposant la vue des ascendants et les descendants dans des études comparatives.

L'importance de cette étude est de mettre le point sur le rôle de l'interprétation scientifique pour illustrer les significations de versets coraniques en y ajoutant des significations nouvelles correspondant à notre culture.

Mots clés: Interprétation – scientifique – inimitabilité - phénomènes – universels – ancien – moderne.

Summary: This stadies looked for the verses of coran which indicate some universal phénomenon mention the point of vue of the ascendants and successor on it in a comparative stady.

The imporatance of this stady is to show the role of the scientific interpretation to make clear the meaning of the universel verses.

In addition of meaning relative to our culture .

Keywords :

Interpretation – scientific – inimitability - phenomenon – universel – ascendant – successor.